# الفَصْلُ الثانِي

obeikandl.com

obeikandl.com

# المَشْهَدُ الأوَّل

# سَنامُ الخَطأ والخَطايا

عندما جلستُ إلى الدكتور حسن عبدالله الترابي بمنزله الكائن في المنشيَّة، إحدى ضواحي الخرطوم في منتصف رمضان ١٤٣٢هـ (أغسطس ٢٠١١) ذات نهار قائظٍ من نهارات مناخ السودان، لم أكن أطمح بكثير شيء عمَّا قاله في هذه القضيَّة بأكثر مما نثره على وسائل الإعلام هنا وهناك على مدى سنوات. والكل يعلم – وأنا منهم – بالرغم من كل ما قال يظل في جُعبته الكثير ممَّا لم يُقال بقدر سواء. ذلك لسببين رئيسيين، أولاً: إنه وحتى اللحظة يعدها فيصلاً في معركة مؤجلة بينه وبين مدبِّريها، وثانياً: يعدها كذلك لأنه – وفق ما اتّضح – ليس شريكاً فيها، وهو أمر سبق لنا ذكره (أنظر "سقوط الأقنعة.. سنوات الأمل والخيبة")، ومن هنا فقد يتضح للقارئ أن الرجل سيكون كريماً في ما ليس له فيه يد، باعتبار أنها القضية التي ستنال من خصومه. وعليه فقد ظلَّ طيلة سنوات مضت يرسل الإشارات هنا وهناك، وهي إشارات كانت تكسب القضية غموضاً أكثر مما تجلي أسرارها.

مع كل ذلك، عندما طرحتُ على دكتور الترابي الإفصاح عمَّا يعرفه عن هذه القضيَّة للتوثيق، والذي هو الهدف الأساسي لهذا الكتاب، وقلت له افعل ذلك لأنها قضيَّة فريدة، لها ما بعدها وإن تقادمت الأزمنة، فقد كنتُ أظنه بتردُّد ساسة أهل السودان الذين يكيدون كيداً لبعضهم في السرَّاء والضرَّاء، إنه لن يفعل، أو على الأقل سيُرجئني ليوم آخر قد يأتي وقد لا يأتي.. ولكن لدهشتي، طفق يحدثني مباشرة عن التفاصيل.. لعلَّ ما يميِّز الترابي عن سواه من السياسيين، مقدرته في اتخاذ القرار، سواء اتفق معه الناس أو اختلفوا، وبغضِّ النظر عن خطئه من صوابه. وبالطبع فالقارئ حرٌ في أن يذهب حيثما شاء في تفسيره لمقاصده. أما أنا، فقد كان ديدني أن أوثق لقضية تُعَدُّ من أمَّهات القضايا السودانية ذات الأبعاد الخارجية، وأعلم – كما قال هو – إنها قضية لا تسقطُ بتقادُم الأزمنة، وقد زاد على ذلك بقوله إنه رجل قانون ويعلم تماماً ما يترتب عليها![٥٦] بناءً عليه، سوف أحدِّثك – يا عزيزي القارئ– حديثاً لن تملَّ سماعه، في قضيَّة هي أشبه بما يمكن أن تكون قد شاهدته في دور الخيالة أو قرأته في قصص "أجاثا كريستي" رائدة أفلام الرُعب والجريمة والإثارة. فالمعروف أن هذه القضية نُشرَ منها شذرات هنا وهناك، ولكن ما سنورده هنا يمثل كماً متكاملاً،

---

٥٦ كان ذلك بحضور الأستاذ كمال عُمَر وآخر حضر اللقاء، وأشار له الترابي مرَّة باعتباره شاهد على جزء من الحدث، وعرفتُ لاحقاً أن اسمه "تاج الدين بانقا".

يصلحُ لأي دُعاة أن يعتبرونه وثيقة اتهام كاملة، يمكن أن تجرِّم أو تبرِّئ المعنيين في أحشاءها. لا سيَّما، وأن للقضية أبعاداً هامة، حيث أصبح الإرهاب بنداً أساسياً في أجندة المجتمع الدولي، في ضوئه تتمحور كثير من السياسات والإستراتيجيات. وأصبح في صدارة القضايا التي تلعب دوراً كبيراً في السياسة الدولية. علماً بأن ما سنورده هنا ليست هي أقوال دكتور الترابي كلها، فبجانب ما أدلى لنا به كانت هناك اجتهادات أخرى، أقبلنا عليها بجهدٍ لا نمِنُّ به على أحد!

كما ذكرنا للقرَّاء الكرام، الذين يعلمون منهم والذين لا يعلمون أيضاً، أن نظام العُصبة ذوي البأس الحاكم ارتكب العديد من الأخطاء والخطايا على المستويين الداخلي والخارجي. ونعتقد أن أكبرها على المستوى الأخير تمثلت في هذه المحاولة الفاشلة، والتي هدفت لاغتيال الرئيس المصري السابق محمد حُسني مبارك. صحيح أن الرئيس الذي كاد أن يكون ضحيتها قد خُلع من السلطة في ١١ فبراير ٢٠١١ بثورة شعبية فريدة في التاريخ السياسي المصري، وإضافة جديدة للتاريخ الإنساني. ومع ذلك، فالمعروف أن الجرائم الجنائية لا تسقُطُ بالتقدُم كما ذكرنا، سواءٌ على مستوى الأفراد أو الدول بغضِّ النظر عن موقع الضحيَّة من مسار الأحداث. وذلك تبعاً لما تحكمه القوانين والمواثيق والاتفاقيات الدولية، وحتى لا يكون العالم الذي تعيش البشرية على ظهره، غابة تستبيحها خفافيش الظلام. ومن المفارقات أن بعض تلك المواثيق وقعت عليه العُصبة الحاكمة في السودان درءً للشُبهات. مثل "الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب" التي وقعّها اللواء عبدالرحيم محمد حسين في مؤتمر وزراء الداخلية والعدل العرب العام ١٩٩٨، غضَّ النظر عن أن الاتفاقية أساساً صُمِّمت للنظام وأمثاله من الخارجين على القانون. بدليل أن سيادته قدَّم مسوغات لتبرير التوقيع بصورة جعلت رؤوس أعتى الإرهابيين تتضاءل خجلاً. لكن التوقيع لا يجُبُّ جرائمه كما هو الحال بالنسبة لـــ"واقعة" أديس أبابا، والتي ستطارد مدبِّريها حتى يجفل النوم من عيونهم. ليس لأن الدكتور حسن الترابي عرَّاب الانقلاب جعلها في صدارة أدلته وهُمومه التي يود أن يلف بها الحبل حول أعناق حواريه أو تلاميذه السابقين، ولكن لأن القانون الدولي لن يتسامح فيها كما ذكرنا، حتى لو تسامح الضحية أو بلاده!

انطلاقاً من كل هذه المعطيات، نقول للقارئ إن هذه القضيَّة ظلت محور اهتماماتنا ومرتكزها. بحثنا عن أسرارها في كل جُحر وفضاء، امتدَّ حتى لصدور ونفوس متآمريها وتنقيب ملف ضحاياها. وفي تقديري أنه ما من كلمة في سماء السودان العريض، تقع ضمن ملايين الكلمات التي يعج بها قاموس البشرية، بأعظم سحراً وفتنة ومعنى مثل كلمة "السر" هذه. ومن أجل كل ذلك كان لزاماً علينا أن نجتهد بقناعاتنا في رصد كل ما هو متصل بالموضوع محور اهتمامنا. أي تأملنا مُقترحها، وعجبنا لمُدبِّرها، وكرَّرْنا البصر حُجتين في مُخططِها، ودهُشنا لحامِلها، وسخرنا من منفذها، ثمّ قرأنا ورأينا وسمعنا ضحيتها وضحاياها.. وبالطبع كل ذلك لا لشيء في نفس راصدها، ولكن لأنها تُعَدُّ الأولى من نوعها التي يُقدِمُ عليها نظامٌ سوداني خارج حدود بلاده. وسنظلّ نُطاردها بحثاً وتقصياً وتحليلاً حتى تستقر في

مصيرها المحتوم، وهو ميزان العدالة الدوليَّة. وبالقدر نفسه نؤكد أنه ليس هناك ثمة ثأر في الامر، بقدر ما الغرض ألاَّ يكون التهاون فيها منفذاً لمن يمكن أن تُسوِّل له نفسه بتكرارها في نظام آخر، وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المجتمع الدولي أصبح في قضية الإرهاب كالجسد الواحد، إذا تداعى له بلد، تداعت له سائر البلدان بالسهر والحمى!

كنا قد تعرَّضنا لهذه القضية خطفاً في كتابنا الذي ورد ذكره (سقوط الأقنعة) ونزيد على ما ذكرنا بتفاصيل توفرت لنا بعد صدور الكتاب. ويمكن القول إن التفكير الشيطاني في هذه القضية ومثيلاتها من الآثام ورد في خضم العزَّة التي انتفشت لها أجنحة النظام بعد أن دالت لها السلطة الانقلابية، باعتبار أنه أول حركة إسلامية سُنيَّة تصل للسُلطة، وأسفرت عن هويتها الحقيقيَّة بعد حرب تحرير الكويت (حرب الخليج الثانية) وظنَّ أن بمقدوره قيادة العالم الإسلامي بعد تصدير ثورته "الأمميَّة الإسلامية" إلى دول تتلهف لمَقدِمِها الميمون. وكانت استراتيجيَّة النظام تنحو نحو التغلغُل في أفريقيا عبر دول القرن الأفريقي، بزعم أن الصومال بعد إنهيار نظام الرئيس سيَّاد بري أصبحت ساحته تُغري بالتدخُّل، وذوي القربى أولى بالمعروف كما يقولون. فهو بحسب تقديراتهم بلد يسهُلُ فيه تطبيق المشروع الإسلامي، نسبة لأن سكانه كلهم يدينون بالإسلام، بل وجميعهم على قلب مذهب واحد (الشافعي) أي لا يوجد بينهم ذِمِّي ولا كافر وفق ما يُردِّد أصحاب "المشروع الحضاري" أنفسهم. وكذلك فالصومال مثله جيبوتي، إضافة إلى إثيوبيا التي تتناصف المسيحية والإسلام سكانها (ويقالُ أن عدد المسلمين يبلغ ٦٥%) ومثلها أيضاً من ناحية المناصفة إريتريا، أضف إلى ذلك مسلمي أوغندا وكينيا وجنوب السودان، والأخير كان في الحُلم الإسلاموي هو بوَّابة الحركة للإطلالة على دول القارة، هذا إن استطاعوا دحر الحركة الشعبية عسكرياً بمثلما تمنوا وخططوا وشرعوا بالفعل!

أما بالنسبة للعالم العربي، فقد وضع أصحاب "المشروع الحضاري" طموحاتهم على كاهل الدولة المصريَّة، باعتبار أن فتحها يعني فتح بوابة العالم العربي، وصولاً لمَغربِهِ، كما هو الحال في تونس والجزائر وموريتانيا والمغرب، بهدف تحريرهم من الإستلاب الأوروبي "النصراني"، وما زاد من فضل الظهر فليعبروا به بطاح المشرق العربي، لبنداح نحو الدول الآسيويَّة، وفي طليعتها أفغانستان وباكستان وكل من شاركهما القافية. هكذا كانت الأحلام أو الأوهام بالأحرى. وبمنطق أن لكل غاية وسيلة أو آلية، فقد استسهل أصحاب المشروع الحضاري قضيتهم ورأوا أن البداية يمكن أن تتم باستضافة المتطرِّفين من الجماعات "فقه الاستجارة" فأصبحت الخرطوم قبلتهم، أو الملاذ أو لسماء الآمنة Safe Haven وعلى رأسهم أسامة بن لادن الذي جاء تتبعه أمواله، بحسب تعبير السيِّدة باربارا بودين إحدي المسئولين في إدارة الرئيس كلنتون السابقة.[٥٧] وكان أسامة بن لادن قد قَدِمَ من اليمن في منتصف مايو ١٩٩١ بطائرة

٥٧ الجدير بالذكر أن بودين حالياً سفيرة متقاعدة، تعمل حالياً محاضرة ودبلوماسية مقيمة أستاذة في كلية "وودرو ويلسون" للشئون العامة والدولية في جامعة برنستون، وتعد واحدة من أبرز الدبلوماسيين الأمريكيين المتخصصين في

خاصة وفي معيّته نحو عشرين فرداً من أسرته، وبعض حرسه الخاص، وخرج في مايو ١٩٩٦ إلى باكستان ثم أفغانستان ثم بكستان مرّة أخرى، حيث عُثر عليه وقُتل بعد اختفاء دام أكثر من عقد من الزمان!

جاء المنبوذون من أوطانهم ممّن يسمون بـ"الأفغان العرب" وعلى رأسهم جماعة الجهاد المصرية، الاتحاد الإسلامي الصومالي، حركة الجهاد الإريتريّة، الإنقاذ الجزائريّة، النهضة التونسيّة، الجماعة الإسلاميّة الليبيّة، وآخرين من العراق واليمن وسوريا وفلسطين.. وهلمّجرا. وعلى رأس كل هؤلاء كان أسامة بن لادن كما أشرنا، والذي تراوحت الأسباب في ترحُّله، ولكن يبدو أن ملابسات حرب الخليج الثانية وموقف بلاده منها وما صاحبها من جدل كانت السبب الأساسي. وأيا كانت الأسباب، فقد جاء للخرطوم تحت غطاء الاستثمارات، فانشغل القوم بأمواله وانشغل الرجل بالتخطيط لما نوى الإقدام عليه بهدوئه المعهود. وفي خمسُ سنوات قضاها بين ظهراني أصحاب المشروع الحضاري كان قد فرغ تماماً من تثبيت أركان الفكرة التي أزمع على نشرها تحت مُسمّى "القاعدة" حيث أتاحت له الخرطوم أن يثبت أركانها العملياتية Net working وشرع في أعمال ستثماريّة توحي كأنه قد حطّ رحاله نهائياً في هذا البلد!

كاد أن ينقلب السِّحرُ على السّاحر في موضوع المتطرّف الليبي الجنسيّة محمّد عبدالله عبدالرحمن الخليفي، الذي حصد برشاشه أرواح أكثر من خمسين مصلياً بين قتيل وجريح في مسجد أنصار السُنة بالثورة الحارة الأولى (مسجد الشيخ أبوزيد محمد حمزة زعيم الجماعة حينها قبل أن ينشقوا لمجموعتين) أثناء تأديتهم صلاة الجمعة ظهيرة يوم ١٩٩٤/٢/١٣، وعرج على مقر من مقرّات بسط الأمن بمنطقة أمبدّة وتبادل معهم إطلاق النار، واتجه صوب منزل بن لادن (وتردّد دون دليل واضح أنه كان يعتقد أنه بين المُصلين) حيث بادله حرسه الخاص إطلاق النار أيضاً قبل أن يتم اعتقاله. وقبل إنه أُعدم حتى لا يكون هناك دليلٌ على أسرار اختفت من الورق وظلت في صدور أهلها.

وفقا لرئيس الاستخبارات السعودية السابق الأمير تركي بن عبدالعزيز[٥٨] أن حكومة الخرطوم عرضت عليهم تسليم بن لادن، وكان ذلك عقب محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك العام ١٩٩٥، أي بعدما بدأت حبال المجتمع الدولي تلتف حول رقبة النظام، فأرادوا التخلص من الإرث الثقيل، ولكن السلطات السعودية رفضت العرض، وكذلك تردّد ان العرض نفسه طُرح لبعض المسؤولين الأمريكيين (إدارة الرئيس الأسبق بيل كلنتون) ولا يدري المرء ما إذا كان قبول أي من العرضين كان سيمنع حدوث الكوارث التي نفذها أتباعه فيما بعد، مثل كارثة بُرجي التجارة

---

الشرق الأوسط، وقد شغلت عدة مناصب، منها مسئولة عن الشئون العسكرية والسياسية في شبه الجزيرة العربية في مكتب شئون الشرق الأدنى وشئون الجزيرة العربية ومن ثمّ كنائبة لمديره، وفي عام ١٩٩٧ عُينت سفيرة للولايات المتحدة لدى الجمهورية اليمنية.

٥٨ سقوط الأقنعة - حلقات توثيقية عن قناة أم بي سي (MBC).

الدولية، وتفجير سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا، والمُدمِّرة "كول" على شواطئ اليمن..إلخ.

تردَّد أن أسامة بن لادن بعد أن غادر الخرطوم إلى أفغانستان في مايو ١٩٩٦ قال فيهم قولاً ثقيلاً، نسخ عنهم صفة التديُّن المزعوم: «**هؤلاء قومٌ جمعوا بين التديُّن والجريمة المنظمة**».. والأمانة التوثيقية تقتضي أن نشير إلى أننا لم نستطع الحصول على العدد الذي نشرت فيه مجلة "روز اليوسف" هذا التصريح، وإن تردَّد كثيراً. لكن الثابت هو ما صرَّح به نائبه الرجل الثاني في تنظيم القاعدة أيمن الظواهري في قولٍ مماثل، وذلك بعد أكثر من عقد على حادثة طرد بن لادن من السودان، جاء ذلك في تسجيلٍ صوتي له من مخبئه، بُثَّ في موقع على الإنترنت، وأشارت له وسائل الإعلام المختلفة يوم ٢٠٠٩/٣/٢٤، ووفقاً لما ورد في موقع هيئة الإذاعة البريطانية الـ"بي بي سي"، قال الظواهري: «**إن مشكلات الرئيس السوداني عُمَر البشير مع الغرب هي عقابٌ له على طرد زعيم القاعدة اسامة بن لادن من السودان قبل عشر سنوات. وأضاف إنه على الرغم من سعي البشير لإرضاء القوى الغربية بطرد القاعدة من السودان عام ١٩٩٦ إلا أن الغرب لا يزال يلاحقه**».. وقال: «**إن نظام البشير يحصد ما زرع، مضيفاً أنه لسنوات طويلة ظلَّ يتراجع أمام "الضغط الصليبي الأمريكي"**»، وهاجم الضواهري البشير الذي قال إنه: «**طرد المجاهدين الذين لجأوا إلى السودان وفي مقدِّمتهم الشيخ أسامة بن لادن**»، وأضاف الظواهري في التسجيل الذي بثه موقع على الإنترنت أنه: «**بصرف النظر عن سعي النظام لنيل الرضاء الأمريكي، فهو غير كافٍ وانتهى الأمر إلى طلب دولي لاعتقال البشير**»، وقال إن: «**حكومته انتهجت فكراً مُعوجاً مخالفاً للشريعة**»!

يجدُرُ بنا الوقوف قليلاً في محطة العنف الذي أطلَّ بوجهه للمرَّة الأولي في حياة السودان بتلك الصورة الغريبة على مجتمعهم. وفتحت الباب على مصراعيه. فبعد سبعة اعوام من تلك الحادثة، وتحديداً يوم ٢٠٠٠/١٢/٩ رُوِّع السودانيون بخروج متطرِّف آخر يُدعى "عباس الباقر" بكلاشنكوف حصد أرواح أكثر من عشرين قتيلاً وجريحاً في مسجد الجرَّافة أثناء تأديتهم صلاة التراويح، وقُتل القاتل في المكان نفسه في تبادُل نار بينه وقوة من الشرطة، ووري الثرى بمقابر فاروق بالخرطوم بعد أن رفض ذويه استلام جثمانه.. وقد روى خفير الجبَّانة ومسئول الدفن بها ملاحظة قال فيها: «**إن السفاح كان رجلاً شديد الضخامة أتعبنا في دفنه، فقد وقعت جثته مرتَّين من النقالة التي كنا نحمله عليها**».. وامتداداً لسيل العُنف، حدث الأمر نفسه ولكن بسيناريو تختلف وقائعه. كان ذلك في "كمبو" في ضواحي مدينة ود مدني، وكذلك في ضاحية الكلاكلة جنوب الخرطوم.

بعد نحو سبعة سنوات من حادثة الجرَّافة، تكرَّر السيناريو بتطوُّر نوعي. حيث اعتمر أربعة شبان ينتمون لـ"جماعة أنصار التوحيد" بنادقهم في ليلة رأس السنة الميلادية ٢٠٠٧، وخرجوا من غير هدى يبحثون عن ضحية يُلقمونها بضع

رصاصات جزاءً وفاقاً لاحتفالهم بـــ"بدعة" ليست من الدين في شيء، بحسب فهمهم. ووضع القدر أمامهم الأمريكي جون مايكل غرانفيل، أحد العاملين في الوكالة الأمريكية للمساعدات USAID وسائقه عبدالرحمن عباس رحمة. ومن المفارقات أن الشيخ أبو زيد الذي شهد مسجده أول حادثة إرهابية من نوعها شارك نجله عبدالرؤوف بفعالية في تلك العملية التي طالت رأس غرانفيل وسائقه. ولأن للدهشة مساراً لا ينتهي في أجندة عُصبة النظام الحاكم في الخرطوم، صحا الناس يوماً في المدينة الهادئة على خبر يقول أن قتلة غرانفيل هربوا من سجن كوبر بواسطة نفق قديم أعادوا حفره وهربوا، وتواردت أخبار باعتقال أحدهم، وهو ابن الشيخ، وهروب الآخرين نحو الصومال!

لأن الأحداث بدأت تأتي تباعاً، كانت تلك قصة سبقها في أغسطس ٢٠٠٧ حدث آخر، إذ فوجئ أهالي مدينة "السلمة" جنوب شرق الخرطوم بهدير انفجار ضخم، اتضح بعدها أن المنزل كان عبارة عن بؤرة إرهابية تكدَّست فيها المتفجِّرات، وقالت الشرطة إنها ضبطت في الوقت نفسه خليَّة مماثلة بضاحية "سوبا شرق" وضاحية "الحتانة" شمال أمدرمان. أما الأمر الذي لن يندهش له المراقبون الحُصفاء فقد كان "ابن الشيخ عبدالحي يوسف"، وهو أحد الدُعاة المتطرِّفين الذين تمدَّدوا في سنوات الغيبوبة. ذلك بعد طرده من دولة الإمارات العربية المتحدة للأسباب ذاتها، وبعد عودته بنى مسجداً في ضاحية جبرة جنوب الخرطوم، ما لبث أن تضخَّم باستثمارات في جوفه، تعدَّدت كماً ونوعاً. والمذكور أيضاً يُدرِّس مادة الشريعة بجامعة الخرطوم العريقة، وهو عضو ما يسمَّى بـــ"هيئة علماء السودان"، أو الهيئة ذات الصلة بالسُلطان الجائر. وأخيراً وليس آخراً، فقد تمَّ ضبط خليَّة بضاحية "الكلاكلة قطعية" واتضح لاحقاً أنها وثيقة الصلة بخلية السلمة[٥٩]!

نعود لحديث البداية بالسؤال الكبير: كيف بدأت عملية أديس أبابا؟ قلنا إن هذا التوثيق يستند بدرجة كبيرة على لقاءٍ خاص مع الدكتور حسن عبدالله الترابي بمنزله بضاحية المنشيَّة بمدينة الخرطوم (منتصف أغسطس ٢٠١١ - رمضان ١٤٣٢هـ) إلى جانب توثيق من مصادر أخرى. تقول الرواية، تزامن مع نفس الفترة التي بدأ يفكر فيها البعض في اغتيال الرئيس المصري بأديس أبابا. جاءه نفرٌ من التونسيين (حزب النهضة، رئيسه راشد الغنوشي)[٦٠] للدكتور حسن الترابي وقالوا له إنهم خططوا لاغتيال الرئيس زين العابدين بن علي أثناء حضوره مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا. قال الترابي إنه تعجَّب من تلك الجُرأة بحسب توصيفه و"وبَّخهم" على ذلك، بحسب وصفه. وقال لهم: ألم تفكروا في المصير الذي سيلحق بجماعتكم في

٥٩ اعتمد توثيق هذه العمليات الإرهابية أعلاه على تقرير رصين ومُحكم الصياغة والوقائع بقلم الصحفي خالد فتحي - موقع سودانيل ٢٠١٠/٧/٢٨ نقلاً عن صحيفة الأحداث.

٦٠ الغنوشي أحد المستجيرين بالنظام مطلع التسعينات، وغادر مع جحافل المغادرين بعد أن مُنح جواز سفر دبلوماسي، ذاع سره فأثار ضجَّة باعتباره دليلاً على ما يقوم به النظام من مساندة للجماعات الإسلاموية، وأقام الغنوشي في أوروبا واستقرّ في بريطانيا، إلى أن عاد بعد سقوط نظام زين العابدين بن علي، وخاض حزبه الانتخابات وأحرز نتائج غالبة مكنته من إدارة شئون تونس في الفترة القادمة.

تونس في حال فشل محاولتكم؟ ألا تتعظوا بما حدث لإخوانكم في مصر بعد اغتيال السادات؟ هل مشكلتكم زين العابدين وحده؟ وصرفهم بمثلما صرف النظر عن الفكرة تماماً.. بل أكد إنه لم يكلف نفسه عناء الإتصال بقيادتهم المقيمة في أوروبا، رغم إنه كان على تواصُلٍ بزعيمهم راشد الغنوشي. وأضاف إنه لا يعرف كيف تسرَّبت الفكرة لآخرين من بعد!

هذا ما أدركه الترابي بعد حدوث محاولة الرئيس حُسني مبارك. أما لماذا غُيِّب عنها، فهذا إما لأنهم علموا بموقفه الرافض مع التونسيين، أو لأنهم يعلمون سلفاً رأيه في مثل هذه العمليات، كما قال! (تفسير خاص للمؤلف: هي الفترة التي زاد فيها صراع الكواليس ضد الدكتور الترابي، وطمحوا لوراثته وإزاحته من هرم الدولة، كما سبق وذكرنا ذلك في سقوط الأقنعة).. ربما يفسر ذلك تغييبه، وقال: المهم في الأمر حدثت العملية التي انزعج لها، وأكد أنه شَعَرَ بمدى الورطة التي يمكن أن يدخُل فيها النظام، ولهذا يبدو أنه كان لزاماً عليه معالجة الأمر في ظلِّ نظامٍ يتحمَّل مسئولياته، أياً كانت صورته بالنسبة للآخرين.

في خلفية المسرح الذي أصبح الكثيرون مجرَّد نظارة فيه، كان الغزو العراقي للكويت قد وفَّر مناخاً مشجعاً وداعماً للجماعات الإسلاموية المتطرِّفة، وذلك على إثر انقسام العالم العربي (مسرح الحدث للاثنين معاً) لمعسكرين. المعارضون، وهم غالبية الدول والحكومات العربية، والمؤيِّدون للغزو وعلى رأسهم الإسلامويين وتتزعَّمهم حكومة الخرطوم، إضافة إلى الأردن وصنعاء وفلسطين، بالإضافة أيضاً لخليط من قوى سياسية مصرية ومن دول المغرب العربي.

من بين كل المتطرِّفين الذين قدموا، وضعت جماعة الأمن المتآمرة في نظام العُصبة بيضها كله في سلة جماعة "الجهاد المصرية"، نسبة لأنها كانت عهدئذٍ من أكثر الجماعات نشاطاً بعد تنفيذها سلسلة عمليات إرهابيَّة في مصر كان لها دوياً كبيراً على المستويين المحلي والدولي. كانت هذه الجماعة هي أيضاً الوحيدة التي راقت لأصحاب المشروع الحضاري الذين تعرَّفوا عليهم للمرَّة الأولى، وعلموا أنهم يودون "قطع رأس الفرعون" كما كانوا يُسمون الرئيس المخلوع حُسني مبارك. فاهتموا بهم وقرَّبوهم كما العين من الحاجب، لأن ذلك من شأنه أن يفتح العالم العربي فتحاً مبيناً. وجاء على رأس هذه المجموعة أحد قادتها البارزين "مصطفي حمزة"، الذي طرح على الحُلفاء الجُدُد خطة اغتيال "رأس الأفعي" كما يُسمونه أيضاً، ومهَّدوا لذلك بعمليات متواصلة عبر الحدود المفتوحة حيث قاموا بعدة عمليات إرهابية.

كانت تلك العمليات برغم تأثيرها لم تحقق طموح الجماعة التي استقرَّ رأيها على تصفية الرئيس في مؤتمر القمة الأفريقية (طُرحت الفكرة في أعقاب الفترة التي تلت الحادث الذي تعرَّض له الترابي في مدينة أوتوا الكندية العام ١٩٩٣) تولى على عثمان ضمه الإشراف على الملف برُمَّته، وسخَّر له الجنود المذكورين، ليقوم جهاز

الأمن بمهمة التنفيذ[٦١].. كان الجهاز يقف على رأسه نافع علي نافع، وعاونه في ذلك صلاح عبدالله قوش ومُطرف صديق، وأدار أسامة عبدالله الشئون المالية. اقتضى التنظيم أن يُوضع المتطرّفون المصريون بقيادة مصطفى حمزة في مزرعة تقع في أطراف العاصمة بالطريق المؤدي لمدينة واد مدني، ضاحية "الباقير"، وخضعوا لمتابعة لصيقة وتعليمات صارمة، ثمّ بعد فترة تمّ تسريب بعضهم على دفعات إلى العاصمة الإثيوبية أديس أبابا بأوراق ثبوتية سودانية، وتحت غطاء العمل في المنظمات الخيرية[٦٢]، وقضوا مُدداً مختلفة طالت لبعضهم وقصُرت لآخرين، ثمّ قضت الخطة بأن يندمجوا في المجتمع الإثيوبي بالزواج من أثيوبيات، ولم لا، فقد عُرف مليكهم النجاشي بأنه «من لا يُظلم عنده أحد» كما قال الرسول الكريم، وكانت بلاده دار هجرة للمسلمين الأوائل، وأصبح ثاني اثنين نصراً الديانة الوليدة من دون أن يعرف عنها كبير شيء. ذلك واقعٌ ربما اختلط فيه بالنسبة للقادمين الجُدُد أشواق الماضي بتطلعات الحاضر، أو إن شئت فقُل الوهم بالحقيقة. فلا غُروٌ بعدئذ أن توسلوا الوصول لهذا الهدف طريقاً شاقاً ووعراً!

بحسب ما هو مُعلنٌ سلفاً، كان من المفترض أن يُعقد مؤتمر القمة الحادي والثلاثين للزعماء الأفارقة في يونيو ١٩٩٥ في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا، وهو مؤتمرٌ يُعقدُ سنوياً حيث يحضره نحو ٥٢ بلداً، وبينما الرؤساء الأفارقة يتوافدون للاجتماع بهدف مناقشة القضايا الملحّة والمسائل الطارئة والمُزمنة التي تشكو منها القارّة الأفريقية، فجأة حدث ما أربك أجواء الاجتماع قبل ساعات قليلة من افتتاح القمة. كان الرئيس المصري حُسني مبارك واحداً من آخر الرؤساء الأفارقة الذين وصلوا إلى أديس أبابا، حيث استقبله الرئيس الأثيوبي مليس زيناوي لدى وصوله مطار بولي، وغادر موكبه المطار متوجّهاً نحو قلب المدينة بعد الساعة الثامنة صباحاً ببضع دقائق. وما كاد موكبه الرئاسي يغادر باحة المطار، حتى سُمِعَت أصوات إطلاق نيران كثيفة على مقرُبة من المطار، وحينها كان عصياً على الإدراك فهم ما جرى، وإن اتضح بعد حين، إنها محاولة لاغتيال الرئيس المصري على بعد أقل من كيلومتر واحد من المطار، والذي عادت سيارته أدراجها ليستقلها الرئيس الأثيوبي الذي لم يبارح موقعه، ودون كثير كلام توجّه مبارك نحو طائرته الخاصة لعله يشعُرُ بالأمان في داخلها!

تكشف لنا اقتباسات منتخبة من المحضر الأصلي للسلطات الأثيوبية والحاوي أقوال الجُناة، أن العملية تمّت صباح يوم ١٩٩٦/٦/٢٦ بعد نحو ميلين من مطار "بولي"، وقد فوجئ المهاجمون بأن السيارة المرسيدس كانت مصفحة ضد الرصاص، الأمر الذي لم يدُر بخلد المنفذين، كما أن الحراسة التي كانت مصاحبة للرئيس مبارك كانت على درجة عالية من الكفاءة، إذ قامت بالرد على المهاجمين

---

٦١ في لُقاء بشمال كردفان قال الترابي إن علي عثمان أنفق ١،٥ مليون دولار في تدريب مجموعة من الإسلاميين والإعداد لهذه العملية. أوردت ذلك صحيفة السوداني ٢٠٠٧/٥/٥ - تقرير إخباري - محمد علي يوسف.

٦٢ المفارقة أن البلد الجانح أهله كان صاحب أكبر عدد من المنظمات العاملة في مجال الإغاثة في إثيوبيا، أي نحو ١٩ منظمة بأنشطة مختلفة.

بضراوة واستبسال، وبناءً على تعليمات الرئيس الذي تماسك بعد أن كاد يطير صوابه، أمرهم بالعودة للمطار!

أدار السائق العربة بسرعة شديدة وعاد للمطار، حيث كان الرئيس الأثيوبي ما يزال متواجداً يستقبل ما تبقى من ضيوفه، وجرت مكالمة صغيرة وغاضبه بينهما، اختصر فيها الرئيس المصري بحاسَّته العسكرية أو بخلفية التوترات بين البلدين، أن الفاعلين هُم **"جماعة الترابي في الخرطوم"**، بحسب تعبيره الذي نطق به وهو يشير بسبابته (يقصد الموقع الجغرافي) للبلد الجار المُغيَّب أهله من الأحداث، وقال بلغته الإنجليزية المتعثرة This is Turbi, I saw his followers.. الواقع أن الرئيس مبارك – بحسب ما ذكره لنا دكتور الترابي – ظنَّ أن كل أسمر اللون سوداني الجنسيَّة، وقال إنه قطع بذلك بعد أن رأي شخصاً أسمر اللون من المهاجمين، وقف قبالة سيارته المصفحة ووجَّه نيران طلقاته نحوها. ثمَّ غادرت طائرة مبارك مطار أديس أبابا عائداً لبلاده بعد أن خلَّفت وراءها ركامٌ من علامات الدهشة والاستغراب وتساؤلات حيرى تبحث عن إجابة!

الذي حدث أن على طريق بولي المؤدّي والخارج من المطار للمدينة، والمُسمَّى بالاسم نفسه، نصبت جماعة إرهابية كميناً للموكب الرئاسي في محاولة لاغتيال الرئيس. وتمكنت قوات الأمن الأثيوبية التي كانت تتولى الحراسة على طول الطريق من إحباطها بمساعدة الحراسة المرافقة للرئيس المصري. لقي اثنان من الإرهابيين مصرعها رمياً بالرصاص على الفور. وهما عبدالقدوس القاضي (المعروق باسم "محمد") ومصطفى عبدالعزيز محمد (المعروف أيضاً باسم "تركي") ولقى اثنان من أفراد الأمن الأثيوبيين، وشرطي مرور أثيوبي أيضاً مصرعهم أثناء تبادُل إطلاق النيران. كما أصيب شرطيان آخران بجروح.

ولا نعلم ماذا حدث بداخل الطائرة من مناقشات بين الرئيس مبارك وكبار معاونيه، لكن ما حدث رفع من أسهُم اللواء عمر سليمان، الذي لم يكُن موافقاً على مشاركة مبارك في مؤتمر القمة ذاك، وقبل بالأمر الواقع بعد أن نصح بعُدَّة احتياطات أمنية، من بينها السيارة المصفحة وكوادر مدرَّبة تدريباً عالياً تم إرسالهم قبل يوم من وصول الرئيس مبارك إلى أديس أبابا.. على كلٍ، كان شروع أجهزة الإعلام المصرية في توجيه الاتهام لنظام الخرطوم فور وصول الرئيس ووفده إلى القاهرة، قد كشف شيئاً من نقاشات الفضاء، أو ما استقرَّت عليه القيادة المصرية. ذلك بناءً على المؤشرات الرائجة والتي تؤكد أن نظام الخرطوم يمثّل العدو الوحيد للقاهرة آنذاك، بالإضافة إلى أنهم الذين احتضنوا الجماعة المناوئة لنظامها.

على الضفة الأخرى، فبالرغم من أن السُلطات المصرية وضعت بين يدي رئيس الوزراء الأثيوبي اتهاماً صريحاً يُغني عن كل بحث، إلا أن الحكومة الأثيوبية لمصالح تقاطعت ولحساسية الوضع في منطقة القرن الأفريقي، وفوق كل ذلك للطريقة

الأثيوبية Atitude المعهودة في التعامُل مع الأشياء، بلا ريثٍ ولا عجل، تعاملت بهدوء شديد حتى كاد الشك أن ينسلَّ لصدور الكثيرين، وظنُّوا أن ثمَّة رائحة مؤامرة تفوح من بين جُدران الصوالين الصمَّاء.. بدأت أديس أبابا بتوجيه رسائلها الواحدة تلو الأخرى للخرطوم متضمِّنة الدلائل الأولية التي تؤكد تورُّطها في الجريمة. واستمرَّ الحال على هذا المنوال حتى صدر اتهامهم الكامل بعد نحو شهر أو يزيد قليلاً، قالت فيه إديس أبابا إنها استجمعت كل الأدلة والقرائن والبراهين. وزادت عليها بابتعاث أحد مسئوليها للخرطوم حاملاً ملفاً تنوء بحمله الجبال الراسيات بين البلدين. وكالعهد بهم، راوغت العُصبة فيما أقروه سراً وأنكروه علناً. لكن للزلازل توابع كما يقول الجيولوجيون، وللجريمة بقايا كما يقول الجنائيون.. بدأت البيِّنات تأتي تباعاً وتجُرُّ خلفها جيشاً من البراهين. تلك حقيقة كان الوحيد الذي يعرف أيّان منتهاها، الشيخ الدارس للقانون، والمتمرِّس في دروب السياسة وشعابها!

الذي حدث إنه بينما السُلطات الأثيوبية ترسل في مذكراتها المتواترة، كانت الخرطوم تحاول أن تداري ضوء الشمس من رمدٍ، تقوم من حين لآخر بترتيبات كان بعضها ينُم عن مُكرٍ ودهاء، وأخرى مكشوفة لدرجة السذاجة.. مثل ما تردَّد عن هروب المتهم الأول مصطفي حمزة في الطائرة السودانية التي غادرت مطار أديس أبابا "بولي"، مباشرة بعد الحادث، وأخرى تنفيها، وهو أمرٌ لم نتمحَّص في تأكيده باعتباره غير ذي بال.. فثمَّة رواية غير مثبتة لنا وإن كانت متداولة، تقول إنه كان ضمن طاقم الحراسة المكلف بحراسة طائرة الرئيس البشير في المطار، وقيل أن الأخير أكتشف أن أحد الجُناة معه في الطائرة، فتوتر واستشاط غضباً، ولكن متى كان غضب الرئيس يفضي إلى فعل؟! واستدلّ المراقبون على ذلك بانصرافه مباشرة من الطائرة للسيارة المُعَدَّة له دون تنفيذ الترتيبات البروتوكولية المعروفة.. ومن الترتيبات الفطيرة أيضاً، هروب اثنان من الجناة عبر لطريق البري. قَبَضَ الأهالي على أحدهم في منطقة حدودية، ووصل آخرٌ الخرطوم. بما من تبقى منهم في مسرح الجريمة، فبعد أن دارت معركة محدودة، استكملها الأمن الأثيوبي أمام المنزل الذي كانوا يختبئون فيه، إذ دارت معركة عنيفة أُستُخدِمَت فيها أسلحة ثقيلة، مما أدى إلى مقتل ثلاثة منهم وتمّ القبض على البقية، وعددهم أربعة. وهم من وردت أقوالهم في محضر الاستجواب.

بعد البحث عن من تبقى من الإرهابيين، كانت السُلطات الأثيوبية قد بدأت التحقق واتضح لها في وقتٍ مبكر أنهم أعضاء في جماعة الجهاد المصرية، وأن ما مجموعه أحد عشر شخصاً كانوا ضالعين في المؤامرة التي هزَّت هيبة الدولة، ويُستحسن أن نقتبس أولاً بعض التفاصيل الرسمية من المحضر الأصلي، الذي تضمَّن أقوال الضالعين، ومعلومات عن الهاربين والذين أُلقي القبض عليهم، وعددهم جميعاً أحد عشر شخصاً، وجاء النص كالتالي بدءً بتعريف المتهمين:

١- مصطفى حمزة: معروف باسم "إبراهيم" زعيم التنظيم ويقيم حالياً في السودان.

٢- عزت: نائب مصطفى حمزة ويقيم هو الاخر في السودان.

٣- حسين أحمد شهيت علي: معروف أيضاً باسم "سراج" أو "فتحي". غادر أديس أبابا إلى الخرطوم بعد بضع ساعات من محاولة الاغتيال الفاشلة، مستخدماً جواز سفر سودانياً باسم فيصل لطفي عبداللطيف، ويقيم حالياً في السودان.
٤- عبدالقدوس القاضي: معروف باسم "محمد"، لقي مصرعه أثناء محاولة الاغتيال.
٥- مصطفى عبدالعزيز محمد: معروف باسم "تركي"، لقي مصرعه أثناء محاولة الاغتيال.
٦- شريف عبدالرحمن: معروف باسم "عمر"، المسئول عن عملية أديس أبابا، لقي مصرعه أثناء مقاومته إلقاء القبض عليه.
٧- عبدالهادي مقود: معروف باسم "حمزة"، لقي مصرعه أثناء مقاومته القبض عليه.
٨- محمد عبدالراضي: معروف أيضاً باسم "ياسين"، لقي مصرعه أثناء مقاومته القبض عليه.

ومن بين المتآمرين الـ ١١، لقي ٥ مصرعهم. ويعيش ٣ في السُّودان، و٣ محتجزون لدى حكومة أثيوبيا. وفيما يلي أقوال الثلاثة المحتجزين، ويُطلق عليهم اليوم على سبيل الاختصار أسماء "فيصل"، "خليفة"، و"ياسين".. ثمَّ يمضي المحضر الذي ننشره للمرَّة الأولى كاملاً، وهو يمثل الوثيقة الأساسية في القضية، علماً بأنه قد نشرت شذرات منه في بعض الصحف الخارجية.

١- **"فيصل"**، اسمه الحقيقي صفوت حسن عبدالغني عتيق.. يحمل جواز سفر سوداني باسم مستعار هو فيصل محمد أحمد، ويُعرفُ أيضاً باسم آخر هو "رابح". ووفقاً للشهادة التي أدلى بها أمام الشرطة، إنه مواطن مصري وُلد في أسوان عام ١٩٦٤ وبينما كان يؤدي مناسك الحج في المملكة العربية السعودية عام ١٩٩٠ سمع عن الجناح الشبابي للمجاهدين الذي انضم إليه فيما بعد. وبعد أن تلقى تدريباً عسكرياً في أفغانستان، وقضى فترة من الوقت في كينيا، تمكن من لقاء أعلى المسئولين التنفيذيين في الجناح العسكري لتنظيم الجماعة الإسلامية، وأمضى بضع سنوات مع غيره من الأعضاء في بعض المزارع التي تمتلكها الجماعة الإرهابية في السودان.
ويؤكد صفوت أنه جاء إلى أثيوبيا على متن إحدى طائرات الخطوط الجوية السودانية، برفقة شخص يُدعى فيصل لطفي أو سراج، حاملاً تعليمات مشدَّدة من مصطفى حمزة، والمعروف أيضاً باسم إبراهيم. ومصطفى حمزة أحد كبار قادة الجماعة الإسلامية. وقد سبق أن اعتقلته السلطات المصرية للاشتباه في تورُّطه في عملية اغتيال الرئيس الراحل السادات. وخططت الجماعة لصفوت أن يدير متجراً لبيع قطع الغيار في أديس أبابا. ووفر له التنظيم التمويل اللازم لبدء هذا العمل التجاري. وتزوَّج صفوت حسن من فتاة أثيوبية تدعى أبيا سراج. استخدمها كغطاء إضافي، وسافرا معاً إلى الخرطوم حيث التقيا مع مصطفى حمزة قائد المجموعة. وكان دور صفوت حسن في مؤامرة

الاغتيال يتمثل في توفير الدعم السوقي، مثل استئجار المنازل والحصول على الأسلحة وجوازات السفر وما إلى ذلك.

٢- **"ياسين"**، اسمه الحقيقي عبدالكريم النادي عبدالراضي أحمد، وهو معروف أيضاً باسمين آخرين في جواز سفر يمني: ياسين عبدالحميد أحمد، وحمزة عبدالكريم محمد النهيم.. يقول إنه مصري، ولد في أرمنت عام ١٩٦٨. إنضم إلى الجماعة الإسلامية المتطرّفة في مصر وذهب إلى أفغانستان حيث تلقى تدريباً عسكرياً لمدة شهرين، وهو يدّعي أنه خاض القتال مرّتين في الحرب التي دارت في أفغانستان بين المجاهدين والقوات السوفيتية. وهناك التقى للمرة الأولى بمصطفى حمزة، وهو أيضاً عضو في مجلس الجماعة الإسلامية، وهو الذي أمره بالتوجُّه إلى المزارع التي تملكها الجماعة الإسلامية في السودان.

حضر ياسين وإيهاب إلى أديس أبابا حاملين جوازي سفر مصريين للقيام بأعمال استطلاع لسُبُل اغتيال الرئيس مبارك، الذي كان متوقعاً أن يحضر مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا، وقابلهما سراج المعروف باسم فتحي في مطار بولي بأديس أبابا. وأقاما في منزل كان مخصصاً للعملية، حيث شرعا في تقييم الوضع الأمني وتفصيلات الاستعدادات المتعلقة باستقبال رؤساء الدول الأفريقية في أثيوبيا. بالاضافة إلى ذلك، توجّه الاثنان إلى "ميتما" (يقصد المتمّة – المؤلف) على الحدود الأثيوبية – السودانية وتسللا إلى السودان، على سبيل التدريب على طريق الهروب الذي سيسلكانه. واعطاهما ذلك التدريب فكرة عن المسافات، فضلاً عن المشاكل التي يمكن أن يتوقعا مصادفتها. وعند انتهاء عملية الاستطلاع، عاد الإثنان إلى أديس أبابا للمرة الثانية.

٣- **"خليفة"**، اسمه الحقيقي هو العربي صدّيقي حافظ محمد، وهو يُعرف أيضاً في جواز سفر يمني باسم أحمد محمد علي، وأطلق عليه اسم خليفة عندما كان في أفغانستان. وفيما يلي إجابات خليفة على الأسئلة المتعلقة بهويته (انظر وقائع المقابلة).

٤- **أبيبا سراج**، ها هي أبيبا سراج تحدثنا عن نفسها، وعن زواجها من فيصل (أنظر وقائع المقابلة)

هذا هو القدر من المعلومات التي كان الثلاثة على استعداد لكشفها فيما يتعلق بهوياتهم. ولكن السؤال الذي يلزم الاجابة عنه: لماذا؟ لماذا أرادت الجماعة اغتيال الرئيس مبارك؟ جميعهم متفقون على أنه يستحق الموت. ويرد أدناه ما يسوقونه من حُجج.. ولنستمع من كل منهم عن مدى تورُّطهم في مؤامرة محاولة الاغتيال.. ولنستمع الان إلى ما لدى الأشخاص الثلاثة من معلومات فيما يتعلق بدور السودان، وأيضاً فيما يتعلق بحياتهم المستقرة في السودان.

## الجزء الثاني:
## وقائع المقابلات التي أجريت مع المتهمين الثلاثة ومع أبيبا سراج زوجة فيصل الأثيوبية

**"فيصل":**

الاسم الحقيقي: صفوت حسن عبدالغني

الاسم الحركي: رابح

الاسم في الجماعة الإسلامية: رابح

الاسم المستخدم في أغراض مختلفة: (أ) جواز السفر المصري: صفوت حسن عبدالغني (ب) جواز السفر السوداني: فيصل محمد أحمد.

وُلدتُ عام ١٩٦٤ في غرب محافظة أسوان في مصر. وليست لديَّ أية فكرة عن تاريخ مولدي أو شهر مولدي. كما لا أذكر ما إذا كنت قد ولدت في منزل أو في مستشفى. واسم أبي هو حسن عبدالغني عتيق. وعندما تركتُ مسقط رأسي كان أبي لا يزال على قيد الحياة، وكان يعيش في غرب أسوان. كان موظفاً حكومياً. وأخوتي وإخواني هُم: محمد وأميمة ومريم وزينب، وهُم يعيشون في غرب أسوان. وعندما تركت بلدي كانوا لا يزالون يعيشون هناك. وأبي في الستين من عمره تقريباً. واسم أمي هو نبوية محمد طه. وكانت هي الأخرى على قيد الحياة وقت أن رحلت من مصر. وهي تعيش في غرب أسوان. وهي لا تعمل، وأمي في الخمسين من عمرها تقريباً. وقد حفظتُ القرآن في مدرسة حكومية تُدعى مدرسة أسوان الغربية. ولا أذكر اسم الرجل الذي علمني القرآن. وأكملتُ تعليمي الديني في غرب أسوان. والتحقتُ بعد ذلك بمعهد المعلمين وكانت هذه آخر مراحل التعليم التي التحقت بها في أسوان. وعُيِّنتُ مدرساً بمدرسة أولية في غرب أسوان. ولم أقم بأي عمل اخر. وكنت أحصل على مرتب قدره ٥٠ جنيهاً مصرياً في الشهر من عملي كمدرس، وليست لي مهنة أخرى غير التدريب وهوايتي هي لعب تنس الطاولة.

ولخدمة العسكرية الوطنية إلزاميَّة في مصر. ولكن بناء على أوامر رئيس الجمهوريَّة ورئيس الوزراء فإن المشاركين في جماعات دينيَّة لا يُلزمون بالاشتراك في الخدمة الوطنية. لم أشغل أي وظيفة خارج مصر. تزوَّجتُ أبيبا سراج منذ عام، وهي تعيش في أديس أبابا، أثيوبيا. ولا أذكر اسم الشخص الذي رتب لي الزواج. أنجبت ابنه اسمها زهرة وعمرها سنة واحد، وهي تعيش بالقرب من مستودع الباصات على مقربة من مدرسة غينيم في المنزل رقم ٧١٢.

**"ياسين"**

- سؤال ما اسمك الحقيقي؟

= جواب: اسمي الحقيقي هو عبدالكريم النادي عبدالراضي أحمد.

- سؤال هل لك أي اسماء مستعارة؟

= جواب: ليست لي أي اسماء مستعارة في مصر، واسمي المستعار بعد مغادرتي

مصر هو ياسين واستخدم اسم حمزة عبد الكريم محمد النهيم في جواز سفري اليمني.

- سؤال: ما هو تاريخ مولدك؟
= جواب: ١٩٦٧/١٢/٦

- سؤال: أين ولدت؟
= جواب: مصر.

- سؤال: أي محافظة؟
= جواب: محافظة قنا، مركز أرمنت، قرية نجع دنقل.

- سؤال: أي جزء من القرية؟
= جواب: حسناً، إنها قرية نجع دنقل.

- سؤال: أخبرنا باسم أبيك بالكامل؟
= جواب: النادي عبد الراضي أحمد.

- سؤال: ما عنوان أبيك؟
= جواب: محافظة قنا، مركز أرمنت، قرية نجع دنقل.

- سؤال: ما عمل أبيك؟
= جواب: كان يعمل من قبل في مصنع للسكر في أرمنت، وقد تقاعد الآن عن العمل.

- سؤال: ما اسماء أخوتك وأخوانك من ناحية أبيك؟
= جواب: لي أخ واحد من ناحية أبي، واسمه محمد النادي عبد الراضي أحمد. وبقية وبقية أخواني وإخوتي هم من الأب والأم معاً، وهم عبد النبي عبد الراضي وعبد الحميد عبد الراضي عبد الكريم ومحمد وأحمد وأختي الكبرى تدعى نادية والصغرى تدعى شادية وعنوانهم هو نجع دنقل.

- سؤال: ما اسم أمك بالكامل؟
= جواب: رسمية أحمد سليمان حسن.

- سؤال: ما اسم المدرسة التي التحقت بها؟ وعنوانها؟
= جواب: إنها مدرسة ثانوية فنية في أرمنت. وتخرجت منها بحصولي على الدبلوم سنة ١٩٨٥- ١٩٨٦

- سؤال: أخبرنا بالأماكن التي عملت فيها، وباسماء الشركات. وكم كنت تتقاضى

من مرتب؟
= جواب: لم أعمل في أي وظيفة حكومية. وكنت أعمل باليومية في أعمال البناء والتشييد. وكنت أحصل على خمسة جنيهات مصرية في اليوم.

"أبيبا":

اسمي أبيبا سراج، وُلدتُ في أديس أبابا في منطقة روفاتيل في ٧ أيلول/سبتمبر ١٩٧٢ والتحقتُ بالمدرسة حتى الصف السابع ثم تركتها لأسباب صحية. وظللتُ معتلة لمدة تسع سنوات. ولم أتزوج إلا عندما بدأت صحتي تتحسَّن. فقد استدعاني جار لنا يدعى الشيخ سعيد، وسألني عما إذا كنت على استعداد للزواج من سوداني يرغب في الزواج مني. وقلت له إذا كان الرجل معروفاً بصلاحه وطيبته فإنني سأوافق بعد استشارة والديَّ. والتقيتُ بزوجي المُقبل ووافقت. وعند استشارة والديَّ، سأل أبي عن عمل الرجل، وقال الشيخ لأبي أنه تاجر قطع غيار سيارات وأنه مناسب لي. وأبلغني والدي أنه لن يضغط عليَّ لكي أغادر المنزل وأتزوج. وإنني لن أرحل إلا إذا رغبت في ذلك، وقلتُ له أنني أريد الرحيل، وتزوَّجنا في شهر أيار/مايو وبعد بضعة أشهر ذهبنا إلى السودان.

"خليفة":

يُعرف أيضاً في جواز سفر يمني باسم أحمد محمد علي. وخليفة مصري، وُلد في مركز مغاغة عام ١٩٦٧. وفي عام ١٩٨٧ تلقى تدريباً عسكرياً لمدة ثلاثة أشهر في طار برنامج الخدمة الوطنية المصرية. وهو يدَّعي أنه انضم طوعاً إلى عضوية الجماعة الإسلامية. وجاء خليفة إلى أثيوبيا من كرانتشي مباشرة عام ١٩٩٥ بتذكرة سفر جوي وفرها له عُمَر. وفي أثيوبيا التقى مع سراج.

وهو يعرف سراج بأنه الشخص الذي استقبله في أثيوبيا، والذي اعطاه التعليمات للأشخاص المتورِّطين في محاولة اغتيال الرئيس مبارك. وخلال الأسبوع السابق على مؤتمر قمة منظمة الوحدة الأفريقية، وبينما كان الوزراء الأفارقة يجتمعون في أديس أبابا، كان خليفة والمتآمرون الآخرون يقومون بأعمال استطلاع لطريق بولي إلى المطار ومنه. ورسم "محمد" و"تركي" خريطة بنتائج أعمالهما الاستقصائية، وقدماها إلى عمر، وتداول الجميع بشأنها. وكانت الخطة الأصلية تقضي بتنفيذ عملية الاغتيال حول مكان اجتماع الزعماء. ولكن لما كان الأمن الأثيوبي مشدداً حول المنطقة. تم تغيير الخطة والأخذ باقتراح عُمَر بتنفيذ العملية بالقرب من المطار. ومثل غيره من أعضاء المجموعة، كلف خليفة هو الآخر بمهمة محددة.

- سؤال: ما اسمك الحقيقي الذي أعطاك إياه والدك؟
= جواب: العربي صديقي حافظ محمد.

- سؤال: باعتبارك عضواً في التنظيم ما الأسماء التي أعطيت لك؟
= جواب: خليفة، أحمد، محمد، علي، عاصف.

- سؤال: متى أعطيت هذا الاسم؟
= جواب: أطلق عليّ اسم خليفة عندما كنتُ في أفغانستان في الفترة من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٥.

- سؤال: متى وُلدت؟
= جواب: ٢٤ آذار/مارس١٩٦٧.

- سؤال: أين ولدت؟
= جواب: مصر.

- سؤال: أي محافظة؟
= جواب: المنيا.

- سؤال: في أي بلدة؟
= جواب: مغاغة.

- سؤال: في أي قرية؟
= جواب: عزبة الكيلو.

- سؤال: ما اسم جدك بالكامل؟
= جواب: سعيد حافظ محمد.

- سؤال: ما عنوان أبيك؟
= جواب: مغاغة.

- سؤال: ما عدد أسماء وعناوين اخوتك وإخوانك من ناحية أبيك؟
= جواب: أخي محمد يعيش في مغاغة. وأخواتي فتحية وفطومة وشادية ورضوى وحنان وتعيش فتحية وحنان في مغاغة. وشادية تعيش في أهبا وتعيش رضوى وفطومة في القاهرة.

- سؤال: ما اسم أمك بالكامل؟
= جواب: عايدة بدير أبو الليل أحمد.

- سؤال: في أي مدرسة تعلمت القرآن؟ وما عنوان المدرسة؟ وما اسم معلمك؟
= جواب: المدرسة توجد في مغاغة. وهي لا تقتصر على تعليم القرآن، وإنما تقدم التعليم الحديث أيضاً. وهي تسمى مدرسة الحرية.

obeikandl.com

• سؤال: ما آخر مدرسة التحقت بها؟
= جواب: مدرسة الحرية الابتدائية.

• سؤال: ماذا كنت تعمل؟
= جواب: لم أكن أعمل. كنت فقط أعمل مع أبي.

ويشرح "فيصل" ذلك:
= جواب: هناك أسباب شتى لضرورة ذلك. وأحد هذه الأسباب هو كما يعلم العالم كله أن مبارك لا يحكم حسب شريعة الله. وهناك أيضاً أسباب أخرى ليست معروفة لدى أناس عديدين. فمبارك يذبح المسلمين. وتوجه كل جهوده نحو محاربة الإسلام والمسلمين. إلا أنه ينبغي عدم نسيان شيء واحد. وهو أن مبارك من خلال هذه الأنشطة يشن حرباً ضد الله. وليس بوسع أي كائن بشري أن يخوض حرباً ضد الله ورسوله. وإذا أصرَّ مبارك على القيام بهذه الأنشطة، يجب أن يتوقع حرباً من الله ورسوله. وأي شخص يفكر في قتال الله ورسوله يجب أن يكون مفلساً أخلاقياً في العالمين. العالم الزائل والعالم الأبدي. وتندرج أفعال مبارك في هذه الفئة... وإذا قُتلنا في سبيل الله، فسرعان ما سيأتي جيل في أعقابنا سيخوض حرباً على الحكومة المصرية ومن ثمَّ يقيم حكومة إسلامية. وهذا هو ما علمنا إياه سيدنا محمد وأفاض في توضيحه. آه.. النصر سيكون لنا في نهاية المطاف. ستُقام دولة إسلامية وخلافة إسلامية. وبعد ذلك سيهبط سيدنا عيسى (المسيح) من السماء إلى الأرض. وسيحدُثُ هذا حينما يتحوَّل العالم بأسره إلى الإسلام. ويعني هذا حينما تسود شريعة الله في العالم. وتؤكد أحاديث سيدنا محمد هذا... ونحن نريد الموت في سبيل الله. ونتضرَّع إلى الله أن ينعم علينا بهذا الشرف الأعظم... وطالما ظللنا مسلمين ملتزمين لا فرق بين أثيوبي أو سوداني أو مصري أو باكستاني أو يمني أو سعودي.

**"خليفة"**

• سؤال: لماذا قرَّرت الجماعة الإسلامية اغتيال الرئيس حسني مبارك؟
= جواب: كل مسلم يناضل من أجل نصرة دين الله على الأرض عليه واجب أن يقتله. فهو لا يحكم وفقاً لشريعة الله. ووفقاً للقرآن وأحاديث سيدنا محمد. هناك التزام بتدمير من هُم على شاكلته سواء كانوا عرباً أو غير عرب.

**"ياسين":**

• سؤال: لماذا كان اغتيال الرئيس حسني مبارك ضرورياً؟
= جواب: بأمانة يتطلب هذا السؤال شرحاً مفصلاً. هناك عدد من الأسباب لذلك، إلا أنني ستطيع أن ألخصها باقتباس من القرآن (ويتلو آيات من القرآن).. إذا ذكرت ما فعله مبارك ويفعله الآن قد تقول إنني متحيِّز. ولكني لن أذكر لك سوى شيء واحد. ومن الممكن أن تسأل المنظمات الإنسانية عن الفظائع التي يرتكبها النظام المصري ضد السجناء وأسرهم. وهذه الأفعال معروفة للجميع بما في ذلك الأطفال.

وكل المواطنين يعرفون هذا. فأذكر لك بضعة أشياء في هذا الشأن. إنهم يشنون غارات على الشقق ويقتلون الصغار العُزّل على أساس الشُبهة فقط. ثم يأخذون جثث الموتى إلى أماكن أخرى حيث يعرضون جثث الموتى وبجانبهم أسلحة ليقولوا أنهم قُتلوا بينما كانوا يقاومون النظام. وهذا مثال بسيط. وكما ذكرت لك من قبل، إذا استفسرتم من منظمة حقوق الإنسان المصرية ستحصلون على إجابة أفضل من إجابتي.

- سؤال: نريد منك أن تقص علينا تاريخ حياتك. كيف غادرت مصر وذهبت إلى المملكة العربية السعودية وباكستان وأفغانستان كعضو في الجماعة الإسلامية وحصلت على تدريب قبل العودة إلى السودان. كيف أتيت إلى أثيوبيا لدراسة الوضع وتلقيت معلومات من إبراهيم؟

= جواب: أصبحت عضواً في الجماعة الإسلامية قبل أن أغادر مصر. وفي كل حي ومنطقة هناك قائد واحد للتنظيم. وكان قائدنا محمد دندراوي هو الذي أبلغني بالذهاب إلى باكستان. وكانت هذه هي رغبتي أيضاً في الذهاب إليها. ثم أعددتُ الوثائق اللازمة لسفري وبدأت رحلتي من مصر إلى المملكة العربية السعودية ومن هناك إلى باكستان ثم أفغانستان. وباختصار كانت رحلة حج. ولم أكن وحدي في رحلة حجي إلى المملكة العربية السعودية. فقد كان هناك شخصان معي. أحدهما ويسمى حافظ يعرف الطريق حيث أنه كان قد سافر من قبل إلى المملكة العربية السعودية لأداء العمرة. وكان هو حلقة الاتصال بيني وبين أعضاء الجماعة الإسلامية. وبعد أن أدينا الشعائر وأقمنا الاتصال مع أعضاء الجماعة الإسلامية الذين أعدوا كل ما يلزم لسفرنا. بما في ذلك التذاكر. مضينا قدماً إلى باكستان. ولدى وصولنا التقينا بأعضاء التنظيم الذين كانوا في انتظارنا لاستقبالنا. وقد اصطحبونا إلى منزل. ويقع المنزل في حياة أباد. وبعد أن مكثنا في هذا المنزل عشرة أيام. أعددنا أنفسنا للتوجُّه إلى أفغانستان. وقد اصطحبنا رجل يسمى منصور إلى أفغانستان وأخذنا إلى معسكر تدريب بالقرب من مكان يسمى صالا. وحصلنا هناك على تدريب استمرَّ لما يقرُب من شهر ونصف الشهر. ثم انضممنا إلى الجيش الأفغاني وقاتلنا ضد الجيش الروسي. ولم نظل طويلاً في جبهة الحرب حيث أن قادتنا لم يسمحوا لنا بذلك. أعني لي أنا ومجدي. وحينما قلت قادتنا كنت أعني إبراهيم. فهم أرادوا أن يُرسلونا إلى مزرعة في السودان وبناءً على ذلك، لم يريدوا لنا أن نبقى هناك طويلاً. ولست متأكداً جداً من طول المدة التي مكثناها في باكستان. ولكن يمكن أن تكون عامين. وبعد ذلك أخبرنا إبراهيم. أي أخبرني أنا ومجدي بالرحلة. أنا ومجدي من بلد واحد. بناء على تعليمات من مصطفى حمزة بالتوجّه إلى السودان والعمل في المزرعة. ذهبنا إلى السودان وكان الشخص الذي استقبلنا يسمى عثمان. وهو مصري وعضو في الجماعة الإسلامية. ويقع منزله بالقرب من مكان يُسمَّى الحرية. وقد مكثنا حوالي شهر في هذا المنزل. وكان ذلك في عام ١٩٩٣ أو نهاية عام ١٩٩٢. وقبل أن نأتي إلى المزرعة. كان هناك شخصان

عضوان في الجماعة الإسلامية يعملان في المزرعة. وكانا يكرهان العمل بالمزرعة حيث أنه كان شاقاً جداً. وقد أتينا لنحل محلهما. وقد سمح لهما بالذهاب حيثما أرادا. وبعد أن مكثنا شهراً واحداً في المنزل. توجَّهتُ أنا ومجدي إلى المزرعة. وكان هناك شخصان معنا، أحدهما يسمَّى حمزة والآخر يسمَّى حسين. ومكث حمزة معنا في المزرعة ليبيِّن لنا كيفية الاتصال بالناس ويعرفنا بالمزرعة وما إلى غير ذلك. ومن الناحية الأساسية، تولى مجدي المسئولية عن المزرعة. وقد وضعوني معه لأنني أنا وهو من بلد واحد ولأنني ملم بالزراعة إلى حد ما. ويبلغ حجم المزرعة حوالي ٤٢ أو ٤٣ فداناً. وهي تقع على بعد يتراوح ما بين ١٠ و ١٢ كليومتراً من الخرطوم. بالقرب من مكان يُسمَّى سوبا. وفيما يتعلق بدار المزرعة، فكانت به غرفة كبيرة ومخزن ومطبخ وحمامين ودورة مياه وخزان مياه.

- سؤال: أخبرنا عن الناس الذين تعرفهم في السودان؟
= جواب: هناك سوداني اسمه مدثر. كان يعمل مع إبراهيم. وهناك شخص يُسمَّى هيثم. اعتاد أن يأتي إلى المنزل وأعتقد أنه مدرس ولكني غير متأكد من ذلك.

- سؤال ما هو عمل مدثر؟
= جواب: مدثر يعمل مع إبراهيم وليس معنا. إلا أنني كما قلت من قبل، كلما كانت هناك مشكلة فيما يتعلق بالمزرعة مع مزارع مجاورة. كان مجدي أخطر إبراهيم بها. الذي كان يشير بدوره بإخبار مدثر بها.

- سؤال وفيما عدا ذلك، ما نوع العمل الذي كان يمارسه مدثر؟
= جواب: بصراحة كان مدثر يقوم بأعمال كثيرة.

- سؤال. هل كان مدثر احد المسئولين؟
= جواب: لا أعلم ذلك. ولا أعرف وظيفته. إلا أن المساعدات التي قدَّمها كانت كثيرة. وكانت له أيضاً صلات قوية. لقد مكثت فترة ما في المزرعة في السودان. ثم أخبرني إبراهيم بأنني سأذهب إلى أثيوبيا. وقال الشيء نفسه لإيهاب. وأخبرنا أننا سنتوجه لزيارة أثيوبيا. والسبب هو أن الرئيس المصري قد يزورها. حيث أن مقر منظمة الوحدة الأفريقية فيها. ثم حضرت أنا وإيهاب، أعتقد على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الأثيوبية، ومكثنا لمدة ١٥ يوماً وزرنا البلد مع حارسنا رجل يسمَّى مظفر. وبعد أن أطلعت أنا وإيهاب على الوضع في أثيوبيا، تعيَّن علينا العودة بالسيارة حسب التعليمات التي أعطاها لنا فتحي. وهي معرفة الوقت الذي ستستغرقه والتكاليف التي ستتكبدها. وعلى أساس هذا وبعد دراسة جميع الجوانب. انطلقنا من أديس أبابا وتوجَّهنا بالسيارة إلى غُندار. ومن غُندار ذهبنا إلى متاما. ومن هناك إلى مدينة القضارف الواقعة على الحدود السودانية. ووصلنا في النهاية إلى الخرطوم. وقدَّمنا تقريراً عن الطريق والتكاليف التي تلزم إلى هيثم، لأن مصطفى حمزة لم يكن هناك. وقد مكثنا في المزرعة حتى عدنا إلى أثيوبيا للمرة الثانية. وبصراحة، لا

استطيع أن أحدّد بالتأكيد ما إذا كان مصطفى حمزة موجوداً هناك أم لا في ذلك الوقت. وأذكر أن عزت كان هناك، وهو الشخص الذي أعطاني أنا وإيهاب جوازي سفر يمنيين وتذكرتين. وهو الشخص الذي أخبرنا بأننا سنذهب إلى أثيوبيا وبأن عمر سيشرح لنا كل شيء عند وصولنا إلى أثيوبيا. وحينما وصلنا إلى أثيوبيا. استقبلنا عمر في المطار وأخذنا إلى منزل أتو مريسا. وبينما كنت أجلس أنا وإيهاب هناك أخبرنا عمر بأننا قد نعود إلى السودان. وفي أثناء ذلك أخبرنا بأننا سنمكث هناك في منزل ريثما يتخذ قرار بشأن ما إذا كنا سنعود إلى السودان أم لا. وبعد خمسة أيام، أبلغنا بأننا سنبقى معهم. وفي اليوم نفسه توجّهنا إلى المنزل الذي يعيشون فيه. واصطحبني أنا وإيهاب إلى منزل أتو مريسا. وكان في المنزل عمر وفتحي وخليفة ومحمد وتركي وحمزة. وبدأ عمر يشرح الخطة لاغتيال الرئيس. وقال في معرض شرحه لها: «**الماضي فات، ونحن الآن نناقش مهمة كل شخص**». ثم أوضح أن دوره هو حمل الحقيبة. وقال إنه إذا حدث أي شيء له سيحمل ياسين الحقيبة. ويتمثل دور سراج وخليفة في المراقبة من مسافة باستخدام منظار. وفيما يتعلق بإيهاب ومحمد فكان دورهما هو استخدام سيارة لسد الطريق أمام سيارة الرئيس حسني مبارك. وكان على إيهاب ومحمد أن يحملا أسلحة أيضاً. بجانب قيادة السيارتين. وبعد مناقشة الخطة عُدتُ أنا وإيهاب إلى المنزل الذي استخدمناه للنوم. وقد أمضوا هم أيضاً الليلة في منزلهم. وجاء عمر ليبلغنا بالانتقال إلى منزل سننتشر منه جميعاً للقيام بمهمة الاغتيال في اليوم التالي. وأحضر محمد الأسلحة في سيارته.

- سؤال: هل يمكن أن تختصر القصة؟

= جواب: بعد تعريفنا بمهمتنا، بدأنا الهجوم في الصباح التالي، لكن العملية فشلت.

- سؤال: ماذا كان دورك؟

= جواب: كما ذكرت لك من قبل، كان على عمر أن يحمل الحقيبة. وإذا حدث شيء له كنت سأقوم أنا (ياسين) بحملها. إلا أنه أثناء مدة العملية وقع حادث واحد وهو أن سيارة الهروب تعطلت. وطلب مني عمر تشغيلها وحاولت جاهداً، إلا أن محرك السيارة لم ينطلق. وظلت السيارة جامدة على هذا الوضع. وقد قتل البعض في العملية وفرّ آخرون. وعُدتُ إلى منزلي. وفي غضون ذلك حدث شيء آخر وهو أن عمر أحرق جواز سفري وقد آلمني ذلك كثيراً جداً. وشعرتُ بالحُزن الشديد. وبسبب هذا نشأ سوء تفاهم بيننا. وقرّرتُ بعد ذلك العودة من خلال الطريق الذي كنتُ أعرفه من قبل، وأمضيتُ الليلة بالقرب من محطة حافلات لشراء تذكرة سفر بالحافلة وقد قمتُ بذلك، وقد سافر خليفة معي أيضاً. وبعد أن أمضينا الليلة في مكان لا نعرف اسمه وصلنا غُندار، وفي الليلة نفسها تمّ إلقاء القبض علي أنا وخليفة.

**"خليفة":**

- سؤال: ما اسم منظمتك؟ ومتى جُنّدت وأصبحت عضواً فيها؟

= جواب: بهدي الله دخلنا الجماعة الإسلامية في عام ١٩٩١ والعام نفسه ذهبت

لأداء العمرة في المملكة العربية السعودية. وبعد ذلك سافرتُ إلى باكستان ثم إلى أفغانستان حيث مكثتُ بمشيئة الله. ومن أفغانستان عدتُ إلى باكستان ثم سافرتُ إلى أثيوبيا. وبعد محاولة الاغتيال الفاشلة التي كنتُ في أثنائها في أثيوبيا قُبض عليّ في موقع لم أعُد أذكر اسمه الآن على الحدود بين أثيوبيا والسودان.

• سؤال: ماذا كنت تفعل عندما نفذ رفاقك محاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك؟
= جواب: (للأسف هذا الجزء غير واضح – الكاتب)... وكنتُ أؤدي الصلاة كل يوم جمعة في مسجد الكعبة في أسوان الغربية. وكان اسم إمام المسجد هو الشيخ عبدالرحمن محمد. وغادرت مصر إلى المملكة العربية السعودية لأداء مناسك العمرة في عام ١٩٩٠ ولبثت هناك فترة ثم غادرت إلى باكستان. وما أن وصلت إلى المطار في باكستان حتى استقبلتنا سيارات أقبلت من الأنصار ونقلتنا إلى بيت الأنصار. وبعد وصولنا بثلاثة أيام سافرنا إلى أفغانستان في سيارة خاصة وتلقينا تدريباً عسكرياً لمدة شهرين في معسكر يعرف باسم الفاروق. ومن هناك عدنا إلى بيت الأنصار حيث مكثنا من ٣ إلى ٧ أيام. وبعد أن انسحبت القوات السوفياتية من أفغانستان توجّهنا إلى جلال أباد. ثم رجعنا إلى الأنصار. وفي ذلك الحين كانت باكستان تحتجز الذين لا يحملون تراخيص إقامة. فاحتُجزتُ أيضاً لأني لم أكن أحمل ترخيصاً. والتقيتُ مصطفى حمزة بعد أن احتجزتني الشرطة بضعة أيام. وسألته عما إذا كان الشخص الذي لا يحمل تأشيرة إلى باكستان يستطيع العودة إلى بلده. فأجابني أن ذلك غير ممكن، وأني أستطيع الانضمام إلى جماعته. وأخبرته أني لا أرى مانعاً من الانضمام إليهم. وفي غضون ذلك احتجزت لدى الشرطة. وفي تلك الأثناء أعربت رابطة العالم الإسلامي عن استعدادها لتقديم تذاكر سفر بالجو إلى جميع العرب المحتجزين الراغبين في الذهاب إلى أي وجهة كانت، وبهذه الطريقة حصلت على تذكرة أيضاً، وكانت التذكرة تتيح لي السفر من باكستان إلى كينيا ومن هناك إلى السودان. وهكذا طُردنا من باكستان إلى كينيا ومنها ذهبنا إلى السودان في زيارة مرور عابر لمدة ثلاثة أيام. وقد تكفلت الخطوط الجوية السودانية بنقلنا من نيروبي إلى الخرطوم. وكنا قد سافرنا من باكستان إلى كينيا على متن الخطوط الجوية الباكستانية. وحال وصولي إلى السودان اجتمعنا بمصطفى حمزة فأخبرنا أن بإمكاننا العمل معهم. وعلى هذا النحو أصبحتُ عضواً في الجماعة الإسلامية. وحين وصلنا إلى السودان كان معي مصريون ليسوا أعضاء في التنظيم وبقيتُ معهم لأنهم كانوا ينزلون عند معارف لهم في السودان. وفي أثناء إقامتي معهم كنتُ أتجوّل من مكان إلى آخر في الخرطوم. ثم قضيتُ كل وقتي في مساكن ومزارع تملكها الجماعة الإسلامية.

**"فيصل":**

• سؤال: ماذا كانت مخططاتك بعد دخول أثيوبيا قبل محاولة الاغتيال؟ أثناء محاولة الاغتيال ماذا كنت تفعل؟ وماذا كان دورك في المؤامرة؟

= جواب: كانت مهمتي حال دخول أثيوبيا تهريب الأسلحة إليها، الاحتفاظ بها في مكان آمن. آه.. كما كان عليَّ أن أشتري بندقيتين آليتين إضافيتين من طراز كلاشنكوف لأن الأسلحة التي كانت بحوزتنا لم تكن كافية. كما كان عليَّ أن أستأجر بيت للاحتفاظ بالأسلحة في مكان آمن. وكذلك أوعز إلى الأخ عمر بالحصول على جواز سفر أثيوبي على وجه السرعة لعضو في الفريق اسمه خليفة، غير أني لم أفلح في هذه المهمة. أعني أني لم استطيع الحصول على جواز السفر. ولم يكن لي دور في محاولة الاغتيال نفسها. وإنما اقتصرت مهمتي للاحتفاظ بالأسلحة وشراء ما يلزم من أسلحة إضافية. وكل ما كان مطلوباً مني هو أن أسلم جميع الأسلحة إلى رؤسائي. أما الشخص المسئول عن مجمل الأمور، بما في ذلك محاولة الاغتيال. فكان الأخ عمر، وقد سلمته جميع الأسلحة عندما طلب إليَّ ذلك. ولم أشارك شخصياً في محاولة الاغتيال. وحضرت جلسة المحكمة لأن المسلمين المسجونين في أثيوبيا مثلوا أمامها في اليوم نفسه. وكنتُ أعرف بعض أعضاء رابطة الشباب المسلم. أما عن دوري بعد محاولة الاغتيال فقد أوعز إلى الأخ عمر بأمر معين. ففي اليوم الذي وقعت فيه محاولة الاغتيال لم أشترك فيها لأني لم أكن أعلم بموعد وصوله (أي مبارك) وقد أخبرني عمر بنفسه حينذاك أن دوري قد انتهى. وقبل وقوع محاولة الاغتيال ذهبنا معاً لأخذ المفاتيح بعد أن أريته البيت المستأجر. ولكنه أكد لي في وقت لاحق أن دوري في العملية قد انتهى لوجود بعض الشبان معي. وبعد محاولة الاغتيال طلب إليَّ الأخ عمر أن أنضم إلى جماعتهم بعد أن صادفته في مكان ما، ففعلت. وكان معه الأخ إيهاب والأخ حمزة. وكانا مصابين بجروح خطيرة وينزفان بغزارة. وطلب إليَّ أن أحضر لهم شيئاً من عصير البرتقال. وكانوا قد اتصلوا بي هاتفياً بعد ظهر اليوم ذاته. وفي الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم نفسه سمعت في النشرة العربية من إذاعة أثيوبيا أن مبارك تعرَّض لمحاولة اغتيال. وفي وقت لاحق إتصل بي الأخ عمر هاتفياً فانضممت إليهم واشتريت لهم بعض عصير البرتقال.

**"ياسين":**

- سؤال: ما الدور الذي أدَّته حكومة السودان حين أرسلت إلى أثيوبيا في مهمة تجسُّس؟

= جواب: كانت توفر التغطية الأمنية لأعضاء الجماعة الإسلامية في السودان كي لا يتعرَّضوا لجهاز الأمن المصري الموجود هناك. وفي هذا الصدد قدَّمت حكومة السودان وجهازها الأمني مساعدة كبيرة إلى الجماعة الإسلامية. ولا أود الإدلاء بمزيد من التفاصيل عن هذا الأمر كي لا أكشف الجماعة الإسلامية في السودان وإخوتنا في مصر. ولأن ذلك سيؤثر فيَّ شخصياً عندما تعرض قضيتي على المحكمة.

**"خليفة":**

- سؤال: ما العلاقة بين الجماعة الإسلامية وحكومة السودان؟

= جواب: العلاقة بين أعضاء حكومة السودان والجماعة الإسلامية علاقة سياسيَّة. فحكومة مصر تدعم وتشجِّع قوى المعارضة السودانيَّة، وحكومة السودان تستطيع بدورها أن تستخدم أداة أو قوة تحرِّكها في مصر. ولهذا السبب يُسمحُ للجماعة الإسلاميَّة بممارسة نشاطها في السودان ويلقى أي عضو من أعضاءها الترحيب في البلد وهُم يحصلون على كافة أشكال الدعم سواء جاؤوا من باكستان أو من المملكة العربية السعودية ما دامت نيتهم هي الذهاب إلى مصر والكفاح في سبيل الله وزعزعة النظام المصري وإقامة نظام إسلامي. ولما كان السودان دولة إسلاميَّة فقد كان دور حكومة السودان هو تعزيز هذه الخطة وتشجيع تنفيذها لأنها تطبع شريعة الله.

**"فيصل":**

- سؤال: هل تستطيع أن تصف لنا مدى الدعم الذي تلقيته من الحكومة السودانية ودوائر الأمن السودانية؟

= جواب: عندما قرَّرت الجماعة الإسلامية – وهي تنظيم مصري – اغتيال الرئيس حُسني مبرك، قامت اللجنة المختصة في هذا التنظيم بعرض الفكرة على الجبهة الإسلامية القومية بالسودان والحكومة السودانيَّة ودوائر الأمن السودانيَّة حيث وافقت على هذه الفكرة. والدليل على ذلك أنها قدَّمت أسلحة وتغطيات أمنيَّة ومن خلال توفير مزرعة وتيسير استئجار مساكن وشراء سيارات ونحن نشعر بالامتنان إزاء كل ما قدمته.

- سؤال: كيف كان رد فعل الجبهة الإسلامية القومية بالسودان عندما فاتحتها الجماعة الإسلامية بشأن خططها؟ وإلى أي حد كانت مستعدة لمساندة أهدافكم؟ وهل تستطيع أن تصف لنا بالتفصيل الأحوال السائدة في أديس أبابا عقب وصولكم هنا؟

= جواب: بمجرَّد البدء في هذه العملية وبمجرَّد إبلاغ الجبهة الإسلامية القومية بالسودان بالخطة من جانب الجماعة الإسلامية (وبنجاح هذه الخُطة في وقت قريب إن شاء الله) رحَّب التنظيم بها كل الترحيب، وأبدت الجبهة أنها لا تجد صعوبة في التعاون معنا. وكان هذا التعاون متمثلاً في توفير الأسلحة، ومع هذا فإن الخطة كانت موضع تنفيذ على يد الجماعة الإسلاميَّة، ومساعدة الجبهة الإسلاميَّة القومية كانت رغم ذلك في ميدان توفير الأسلحة. وعقب هذا، كان فتحي معي عندما دخلنا أثيوبيا. آه . لقد أحضر الأسلحة في صندوق كرتوني. وهذا الصندوق كان قد هُرِّب من المطار دون المرور على الدائرة الجمركيَّة والذين قاموا باحضاره كانوا من الدبلوماسيين، أي من الدبلوماسيين السودانيين، ولم يكونوا مسافرين عاديين. ولقد أطلعني عى هذه الأمور الأخ فتحي. والجبهة كانت موافقة تماماً على فكرة تهريب الأسلحة. آه.. ومن الطبيعي أن أقول إن الجبهة كانت مستعدة للمساعدة في توفير الأسلحة. وهذه هي كيفية حصولنا على هذه الأسلحة. ومع هذا فإن الخطة كانت من

وضع عدد من كبار أعضاء الجماعة الإسلاميَّة بالسودان. (والأخ فتحي الذي يعرف أيضاً باسم سراج هو الذي هرب إلى السودان على متن طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية السودانيَّة بمجرد فشل محاولة الاغتيال).

- سؤال: إنني لا أعرف هذه المزرعة. ولو افترضنا أن ابنتك زهرة موجودة بالمزرعة، وأنت لا تستطيع لقاءها وطالبت شخصاً آخر باحضارها إليك، فكيف تصف لنا الطريق إلى هذه المزرعة؟

= جواب: لو كانت ابنتي بالمزرعة وطلبت إلى شخص آخر أن يحضرها لي فإنني كنت سأقول له ما يلي: إنك لو سرت من المطار إلى نقطة التفتيش المُسمَّاة سوبا ومضيت في طريقك لمسافة عشرين كليومتراً بعدها ثم اتجهت إلى اليمين، فإنك ستجد لافتة ومنزلاً مكوّناً من عدد من الغرف، وبعد ذلك ستشاهد بركة وهذه البركة هي التي تميّز هذه المزرعة عن سواها.

- سؤال: أرجو إعطاءنا معلومات عن مصطفى حمزة؟

= جواب: إن الأخ مصطفى حمزة خريج جامعي وعقب اغتيال الرئيس السادات تعرّض للحبس وبعد خروجه من السجن تولى مسئولية رئاسة الجناح العسكري للجماعة الإسلامية، وهو متزوج ولديه أربعة أولاد وحياته في السودان مكرّسة لخدمة الله سبحانه وتعالى. وهو يبدأ عمله من منزله ويبارح منزله أيضاً للاطمئنان على أحوال الشباب في مواقعهم. ثم يمضي بعد ذلك إلى مكتبه الخاص ولديه معلومات عن حكومة السودان تفوق كثيراً ما بحوزتي من معلومات.

- سؤال: هل تستطيع أن تذكر لنا اسماء بعض السودانيين الذين يتردّدون على مكتب مصطفى حمزة؟ وعن أي المواضيع كانوا يتحدثون؟ ولحساب من كانوا يعملون؟ وما هو رقم هاتف مكتب مصطفى حمزة؟ وكيف كان مظهر من يتردّدون عليه؟

= جواب: إن الأخوة السودانيين الذين كانوا يزورون مكتب مصطفى حمزة ويزورون مساكننا كذلك هم إبراهيم وعوض الله ومدثر ووائل، وعندما كان يحضر أحد هؤلاء الأشخاص كان مصطفى حمزة يطلب إلينا حتى وإن لم يكن هناك سوى فرد واحد بالمنزل أن نخرج لمدة ساعة أو ساعتين.. أما رقم هاتفه فهو ٧١٠٢٥ وقد كانوا يجتمعون بعد ذلك في مكان آخر.

- سؤال: وما هي الاتصالات التي كانت تتم بين الجماعة الإسلامية ودوائر الأمن السودانية؟

= جواب: في حالة احتياج الجماعة الإسلامية إلى أي شيء، كانت تحصل عليه من خلال دوائر الأمن السودانية. ومصطفى حمزة كان هو المسئول من جانب الجماعة الإسلامية. وأما من جانب الجبهة الإسلامية القومية بالسودان، فثمة أربعة اشخاص مسئولون. وقد يكون هؤلاء الأربعة من أعضاء دوائر الأمن السودانية. وعند

حضورهم كانت الاجتماعات تعقد بين موظفين مسؤولين. والعلاقات بين المنظمتين كانت تتحدد بناء على هذه الاجتماعات. وهذا يعني أن كل ما تحتاجه الجماعة الإسلامية كان يتأتي لها من خلال هذه الاجتماعات.

- سؤال: هل تستطيع أن تحدثنا عن العلاقات بين الجبهة الإسلامية القومية بالسودان ودوائر الأمن السودانية، إذا كانت لديك أية معلومات عن ذلك؟

= جواب: كل ما أعرفه أنهم مسيطرون على الحكومة فالسلطة في أيديهم.

- سؤال: هل لك أن تحدثنا بالتفصيل عن العلاقات بين مصطفى حمزة من جهة والجبهة الإسلامية القومية بالسودان وحكومة السودان من جهة أخرى؟ وما هي اسماء أعضاء لجنة الجماعة الإسلامية؟ وما هي اسماء من يقومون بزيارة مصطفى حمزة؟ وما هو الدور الذي كان يضطلع به هؤلاء في دوائر الأمن السودانية؟

= جواب: إن الأخ مصطفى حمزة هو الذي يضطلع بالاتصالات مع الجبهة الإسلامية القومية. وهذه الجبهة تسيطر تماماً على حكومة السودان وفروعها. اه.. وثمة أعضاء من الجبهة كانوا يزورون مصطفى حمزة في منزله. أي أنهم كانوا متعوّدين على عقد اجتماعات منتظمة. ومندوبو الجماعة الإسلامية في هذه الاجتماعات هم الأخوة مصطفى حمزة وفتحي وعزت. أما من جانب الجبهة الإسلامية فأعتقد أن المندوبين هم إبراهيم وعوض الله ومدثر.

- سؤال: هل لديك شعور بالندم يا فيصل على اشتراكك في هذه المؤامرة؟ وإذا كان لديك مثل هذا الشعور فلماذا؟

= جواب: إننا اضطلعنا والحمد لله بهذه المهمة، ولا شك أنها مهمة تجعلني دائماً أشعر بالفخر. أي أنني أحس بفخر حقيقي بما قُمتُ به. ومسألة نجاح محاولتنا أم إخفاقها مسألة مختلفة تماماً. فواجبنا هو الاضطلاع بمهمتنا، وما فعلناه هو كل ما كان يمكن أن نفعله كبشر. ولقد ابتهلنا أيضاً إلى الله أن يكلل جهودنا بالنجاح. ومع هذا فلقد فشلت المحاولة. ونحن نتقبل ذلك بالرضا ما دامت هذه إرادة الله. وهذا لا يمنعنا إطلاقاً وللحظة واحدة من الاستمرار في جهودنا. وفي ضوء خطورة المحاولة التي شاء الله لها أن تجري في أثيوبيا نسألهم كريم الصفح عما فعلناه. وإني أدعو الله أن يصفح الأثيوبيون عن عملنا. وإننا لنأسف للاضطلاع بهذه المحاولة في الحبشة (أثيوبيا) فالعالم الإسلامي كله يدرك ما هي الحبشة وباسم الجماعة الإسلامية وباسمي التمس بالغ الصفح من الأثيوبيين. وحيث أن الأثيوبيين يفهمون قليلاً من اللغة العربية. فإني ألتمس عفوهم. والله يعلم أني أقول هذا من أعماق قلبي عند التماسي العفو من الأثيوبيين. ومرة أخرى اسمي أثيوبيا "الحبشة" وبالنسبة للمسلمين كانت الحبشة أرضاً لهجرة المسلمين الأوائل. والحبشة هي الأرض الطيبة التي جاءتنا بسيدنا بلال المؤذن. وهي بلد الملك "النجاشي" والرسول عليه السلام قد حثّ أتباعه على الذهاب إلى الحبشة. فهي أرض تخضع لحُكم ملك عاقل يتسم بالعدالة

والإنصاف بين الجميع. والإذن بمحاولة الاغتيال كان شديد الوطأة، ومع هذا، فإني ألتمس الصفح بمشيئته سبحانه وتعالى.

**جاء في أقوال أبيبا سراج زوجة فيصل ما يلي:**

- سؤال: من الذي استقبلك في السودان؟

= جواب: عندما ذهبنا إلى السودان، استقبلنا إبراهيم وفتحي وتركانا نستخدم حجرة في مسكنهما.

- سؤال: لقد استقبلتك أختك مع إبراهيم عند وصولك إلى الخرطوم، فكيف تم اللقاء بين اختك وإبراهيم؟

= جواب: لقد التقيا قبل ذهابنا إلى السودان ولقد سبق لي ولأبي أن أخطرنا زوجي بأن لي أخت في الخرطوم. وزوجي أبلغ إبراهيم هاتفياً باسم اختي وباسم المدرسة التي كانت بها. واختي كانت تعرف أننا ذاهبون إلى السودان. وزوجي طلب إلى إبراهيم أن يحضرها معه إلى المطار حتى تقابلنا.

- سؤال: ما عدد أولاد إبراهيم؟

= جواب: لديه أربعة أولاد، وأكبرهم يناهز السادسة من العمر وأصغرهم يبلغ سنتين تقريباً.

- سؤال: هل تعرفين اسماءهم؟

= جواب: أحد الأولاد اسمه خالد ولا أذكر اسماء الآخرين.

- سؤال: ما هو شكل إبراهيم؟

= جواب: إن لون بشرته فاتح وهو يبدو كما لو كان عربياً وزوجته أيضاً كذلك.

- سؤال: ما هو شكل بيته؟

= جواب: إنه بيت مكون من طابقين ويسكنه زوجان من العرب. وكنا نقطن في حجرة واحدة بالطابق الأرضي ولم يحدث ان قابلت أي شخص باستثناء المجموعة. إلا أختي.

- سؤال: كيف كان إبراهيم وزوجته يعيشان مع أولادهما؟

= جواب: إنهم كانوا يعيشون في السودان وأعتقد أنهم كانوا يعيشون هناك منذ فترة ليست بالقصيرة وهم ينعمون بمعيشة مريحة.

- سؤال: هل يقومون أحياناً بالاستجمام؟

= جواب: نعم، فهم يقومون بالتنزه على شاطيء المياه. وقد يكون ذلك مرة واحدة كل أسبوع.

- سؤال: كيف كانت حالة إبراهيم الزوجية؟ هل كانت زوجته فطومة سعيدة معه؟

= جواب: يبدو أن زواجهما كان سعيداً. فلقد كانت تعيش معه هناك منذ وقت ليس بالقصير وكانا يتناولان ألواناً شتى من الطعام. ومنى وسمية كانا بالطابق العلوي. وكان الاتصال عن طريق نظام اتصال داخلي.

• سؤال: من الذي استقبلك عندما عدت إلى أثيوبيا؟
= جواب: عندما عدنا استقبلنا شخص اسمه سراج. حيث قام باستئجار سيارة تاكسي وأخذنا إلى منزلنا الذي كان يعيش فيه لمدة شهر وستة أيام عندما كنا بالسودان. وعند دخولنا للمنزل رأيت حقيبتين من حقائب السفر. وسألت عنهما زوجي فأخبرني أنهما تحتويان على قطع غيار سيارات وبقيت هاتان الحقيبتان بالمنزل لمدة ستة أشهر تقريباً.

• سؤال: أكملي كلامك.
= جواب: قال لي زوجي فيصل أن لديه شأناً ما بالسفارة السودانية. وذهب إلى هناك وسألني سراج في حديثه معي عما إذا كنت أحب السودان. ولقد رددت بالإيجاب. وسألني عن أحوال إبراهيم المعيشية وعندما علم زوجي بهذه المحادثة كان في غاية الامتعاض. فهو لا يريدني أن أتحدث مع أي رجل. ومنذ ذلك الوقت لم يعد سراج إلى منزلنا على الإطلاق.

• سؤال: لماذا ذهب زوجك إلى السفارة؟
= جواب: لا أدري، ولقد سألته في الواقع عن السبب، فقال إن الأمر لا يعنيني بتاتاً.

• سؤال: ولكنه قال لك أين هو ذاهب؟
= جواب: إنه لم يكن يتحدث إليّ، بل كان يتحدث معه.

سؤال: مع من؟
= جواب: مع سراج.

سؤال: هل أنت مستريحة في حياتك الزوجية؟
= جواب: كانت الأمور مرضية في البداية ومع مرور الوقت كنت أتساءل لماذا لم يقم بشرء أي شيء وسألته عن ذلك. وأخبرني أننا ذاهبون للمعيشة في السودان. ولكنني رفضت وأفهمته أنني لن أذهب الى السودان. وظللنا نتجادل في ذلك إلى أن حدث هذا.

صورة طبق الاصل

نعود للخرطوم التي أظلم ليلها وأغطش ضحاها، ليس بفعل الكهرُباء التي لا تنيرها إلا لماماً، ولكن جرَّاء الكارثة وأهلها نائمون.. بعد فشل العملية، ووصول الثلاثة المتورِّطين في جريمة الاغتيال إلى الخرطوم، اضطربت أوصال "عرَّابها" علي عُثمان محمد طه، وأدرك أن الأمر أبعد من الكتمان الذي يُعالِجُ به كثير من الأمور في جهاز الدولة، وبخاصّة الأمور الخطيرة، والتي غالباً ما يُقصِرُها على شخصٍ أو اثنين، فعلى غير هذه العادة المُنهَجَة، دعا لمنزله عدد من الشخصيات المنتخبة التي تقود الدولة والحركة معاً، وبعضهُم كان عليماً بالدعوة، بل متورِّطاً في الجريمة، وآخرون كانوا لا يعلمون، وعلى رأسهم الدكتور حسن الترابي، الذي كان يظنه البعض أنه مَن يقف وراء كل صغيرة وكبيرة، ولم يدُر بخلد أحدٍ أنه كان آخر من يعلم بين عُصبته، أو حواريه بالأحرى.

حضر ذلك الاجتماع تحديداً كلّ من: "الرئيس" عُمَر البشير، الزبير محمد صالح، الطيب إبراهيم الشهير بـــ"سيخة"، بكري حسن صالح، عبدالرحيم محمد حسين، إبراهيم شمس الدين، على الحاج محمد، إبراهيم السنوسي، عوض الجاز، غازي صلاح الدين، إضافة إلى صاحب المنزل، وهو الدَّاعي للاجتماع – كما ذكرنا، والذي ابتدر الاجتماع قائلاً بالنص: «**نحن شتركنا مع جماعة الجهاد المصرية في محاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرَّض لها الرئيس المصري حسني مبارك، وقدَّمنا لهم كل الدعم الذي طلبوه للقيام بهذا العمل، والذي حدث بعد ذلك أن ثلاثة قُتلوا في مسرح الحدث، وثلاثة ألقى الأمن الأثيوبي القبض عليهم، وثلاثة هرَّبناهم ووصلوا الخرطوم، وقد جمعتكم لأقول لكم أننا "سنُصفّي" هؤلاء الثلاثة، وأنا أملك كل المبرِّرات الشرعيّة والسياسيّة لذلك**».

رانَ صمتٌ قصير، كان المتحدِّث قد جال خلاله ببصره على الحاضرين، ربّما ليرى وقع حديثه عليهم.. على الفور أخذ "الرئيس" عُمَر البشير الفرصة، وقال اختصاراً: «**نعم، نُصفّيهم**»...!

قبل أن نواصل مسلسل الرُّعب هذا، حَريٌّ بنا أن نذكّر لازمة تستجلي هذه المؤازرة الظرفيّة من "الرئيس"، ذلك أن المعروف منذ بداية الانقلاب كانت للسيد علي عُثمان محمد طه طريقة مُعيّنة في استقطاب الدعم والمؤازرة عندما يود طرح موضوع خطير أو شائك أو جدلي على الدكتور حسن الترابي، وهو المرور على "الرئيس" قبل أي لقاءٍ أو اجتماع، لضمان مساندته فيما ينوي طرحه... ولقد ظلَّ المذكور طوع بنانه منذ حدوث الانقلاب وإلى حين المُفاصلة التي حدثت نهايات العام ١٩٩٩، حيث بدأ "الرئيس" تمرُّده على "عرَّابه" الخاص، والذي ظلّ يطفو أحياناً على سطح الأحداث ليشي بوميض نار تحت الرماد، وأحياناً أخرى تخبو نيرانه، حتى ليظن المرء أنهما "رأسين في طاقيّة"، كما يقول المثل السوداني الدّارج.

بناءً على هذه الخلفيّة، وبمجرّد أن تدخّل "الرئيس" البشير مؤكداً ما طرحه السيِّد علي عُثمان طه في الفكرة التي فاقت صيف السُّودان القائظ في حرارته، أدرك

الدكتور حسن الترابي أنهما متفقان، فتحدَّث بصورة منفعلة أشبه بـــ"الهَيَجَان"، وقال نصاً بعد أن تحوقل مرَّتين: «**أنت نائبي**»... ثم أشار لـــ"الرئيس" الذي زكَّاه: «**وأنت رئيس البلد، تستحلون قتل النفس مع جماعة اتفقتم معها على عمل؟! لا حَوْلَ ولا قوَّة إلاَّ بالله**»...

يقول الدكتور علي الحاج محمَّد، الذي كان أحد الحاضرين – كما ذكرنا: «**لم أرَ الرئيس وعلي عثمان "humiliated" (أي ذليلين) كما رأيتهُما في ذلك اليوم**»... وأضاف: «**في تقديري، كان هذا هو اليوم الذي حدث فيه انشقاق الحركة الإسلامية**».

أصاب الوجوم جميع الحاضرين، وأصبحوا كمن حطَّ على رؤوسهم الطير، ولا يدري المرء شُعور "الاثنين" الذين أهينا على مرأى ومسمع من عُصبتهم، وهُم "طائفة نوعيّة"!

قال لهم دكتور حسن الترابي مواصلاً حديثه، وناثراً عليهم حديثاً عجزوا عنه: «**أنتم سياسيُّون، هل يُعجزُكُم أن تُخرجُوهم من هذا البلد إلى أي جهةٍ؟ وإذا كنتم تخشون أن تطالبوا بتسليمهم من أثيوبيا أو مصر، أو الأمم المتحدة، فليُعلنوا عن أنفسهم بعد خُروجِهم**»... ثم وجَّه الترابي حديثه مشيراً نحو دكتور غازي صلاح الدين، الذي كان حينها يشغل موقع أمين المؤتمر الوطني، وقال: «**عندكم مسئولٌ سياسي، يمكنكم أن تطلبوا منهم مخارجة سياسيَّة بدلاً من أن تستحلوا القتل بغير حق**»...

**<u>ملحوظة من المؤلف</u>:**

**يبدو لنا أنه حتى تلك اللحظة لم يكُن الترابي يَعْلَمُ تفصيلاً مَن مِن الوُجوه التي أمامه شاركَ، ومن لم يُشارك في هذه العملية!**

من جهةٍ أخرى، تأكد لهذه العُصبة أن الترابي يستطيع أن يَرْفَعَ من يشاء ويُذِلَّ من يشاء، وأنه استعاد زمام المبادرة إثر تخطيط بعضهم لإزاحته عن مسرح الأحداث بعد الانقلاب مباشرة، وتفاقُم المؤامرة بعد الحادث الذي تعرَّض له في كندا، وفق ما أشرنا إليه في كتاب "سُقُوطُ الأقنِعَة"...

انفضَّ سامِرُ المجتمعين بعد أن أوحى لهم الترابي بالحلِّ الذي يُخرجُهُم من الورطة، وبدأ التخطيط لعملية إخراج "الثلاثة" من السُّودان، وأختير الدكتور غازي صلاح الدين لمرافقتهم، إذ اقتضت الفكرة تجهيز طائرة خاصة، حيث حُشر فيها المُخطئون وخطاياهم، والبريئون ونواياهم، وإرسالهم إلى إيران، دون إخطار السُّلطات الإيرانيَّة .. وثمة رواية تقول إن بعض أهلها يعلمون، وكانوا يتأهَّبون للاحتفاء بإسلامبوٰي آخر، في إشارة لـــ"خالد الإسلامبولي" الذي نفذ جريمة اغتيال الرئيس الأسبق محمد أنور السادات... وأياً كان، فقد نُقِّذت المُهمَّة بذات نَمَطِ أفلام الجاسُوسيَّة،

حيث حلّوا ضيوفاً آمنين في دار السفير "قطبي المهدي"، والذي سيقوم بعدئذٍ بإكمال السيناريو بإرسالهم إلى أفغانستان، وهو لا شكَّ خبيرٌ بشعابها!

بعد أن أفرغت الطائرة من جوفها البشر وخطاياهُم في مطار طهران، قام الدكتور غازي صلاح الدين، الذي طالما طرف الخيط وفق نظريَّة "التوريط التدريجي" التي اشتهرت بها العُصبة في مُلمَّاتها وصنائِعِها و"بلاويها" بمزيدٍ من التمويه، لكي تبدو الطائرة وكأنها توقفت اضطراراً للتزوُّد بالوقود في رحلتها إلى كوالا لامبور، وهي أيضاً عاصمة يحجُّ إليها نفرٌ من العُصبة ليشهدوا منافع لهم، ولم يكُن لغازي حينها من منفعة يجنيها سوى أن قضى ليلته فيها، وكرَّ عائداً في اليوم التالي مباشرة... أيضاً لمزيدٍ من التمويه، قام بزيارة أبوظبي (دولة الإمارات العربيّة المُتحدة) ثم عاد أدراجه كمَنْ أدَّى مهمة مقدّسة ونَجحَ فيها بجدارة!

المتورّطون الثلاثة الذين كان من لمفترض إرسالهم إلى العالم الآخر، الذي تنبسط فيه موازين الثواب والعقاب، وصلوا إلى مطار "كابول" حيث أفرغت حمولتها الثقيلة دون رقيب أو عتيد، ويستوي في ذلك الذين يعلمون والذين لا يعلمون.. بل قُل لا يأبهون أصلاً لأحد، بما في ذلك حُرّاس الفضاءات الذين يرصدون دبيب النمل! وبعد عدة أيام، وبتنسيق مع مراسل قناة "الجزيرة" «أحمد زيدان»، وهو من الإسلامويين المُنظمين، وكان مراسلاً أيضاً لصحيفة "الحياة" اللندنية، ظهر "مصطفى حمزة" زعيم الجماعة التي خطّطت ونفّذت وقتَلت لتكون الرسالة الموجَّهة للعالم: أنه لم يشارك! وكان موجوداً في كابول بعد أن راجت الأخبار باقتران اسمه بالعمليَّة!!

أما في الخرطوم، فإن الأمور كانت تمُورُ داخل العُصبة بعد نصيحة "الشيخ"، فأقدموا على خطأ كبير، كأنهم ودُّوا أن يقولوا للعالم: «ها نحنُ ذا فعلناها»... فما حدث بعد ذاك الاجتماع "التاريخي" أن زار ذات يوم "الرئيس" البشير الدكتور الترابي في منزله بعد صلاة الصُّبح، أي فيما كانت العصمة ما زالت تغط في نومٍ عميق، فطلب من عبدالرحيم محمد حسين الذي أوصله حتى باب الدار أن يُغادر، وجلس هو إلى دكتور الترابي، فقال له دون أي مقدّمات: «**أنا قرّرت أشيل نافع من الجهاز**»، فقال له الترابي على الفور: «**لكنك سوف تؤكد التهمة**»!! فغادره دون أن يُمنحَ فرصة ممارسة سلطاته كـ"رئيس" حتى ولو بالتمنّي!!

وفق تقصّينا وتدقيقنا في أمور العُصبة، اتضح لنا بما لا يدعُ مجالاً للشكّ أن ذلك اللقاء كان هو أوّل لقاءٍ جَمَع بين الاثنين مُنفردين، منذ حدوث الانقلاب... بمعنى أن كل اللقاءات التي تمّت خلال الست سنوات السابقة على ذلك التاريخ كانت بحضور آخرين.. ونضعُ عبء التفسير على كاهل القارئ الفطن، إن أراد حل طلاسم هذا اللغز!

برغم تحذير الترابي، ارتكبت عُصبته الخطأ الأزلي في عالم الجريمة، والقائل ان المُجرم لا يطيق صبراً على جريمته، ويظل يُداورُ حول مسرح الجريمة... من هذا المنطلق، أقدمَت على تغيير وتبديل وتحويل في مراكز بعض أفراد العصابة التي كانت

مشرفة على، أو عليمة بالجريمة، إذ تمَّ تحويل نافع علي نافع الذي كان يرأس جهاز الأمن إلى وزارة الزراعة، وهو رأسُ الرُمح في التنفيذ الذي أشرف عليه السيِّد علي عُثمان محمَّد طه، ولم يكن ميسوراً عليه أن يغيِّر موقعه هو أيضاً، وجيئ باللواء الدابي بديلاً لنافع في رئاسة جهاز الأمن، والدكتور مُطرف صدِّيق، مدير إدارة العمليات الخاصَّة إلى سفارة السودان في نيجيريا... أما صلاح عبدالله قوش (نائبه) فتمَّ تحويله لمصنع "سارية" التابع للتصنيع الحربي، واللواء حسب الله عُمَر من مدير إدارة الاستخبارات المضادة إلى وظيفة دبلوماسي بباريس، ونصرالدين محمد أحمد، مدير إدارة التدريب إلى سفارة السودان بالقاهرة، وكمال عبداللطيف، مدير إدارة الأقاليم إلى سفارة السودان بنيروبي، وظنّوا أنهم بذلك مسحوا الأثر أو العار، وهي التنقلات التي قال عنها الترابي فيما بعد إنها كانت خطأ، فتلك نصيحة سَبَقَ فيها السيف العذل، لأنها أساساً صَدَرَت في خِضَمِّ صراع الكواليس بينه وبين حوارييه، لتُنبئ بما هو قادمٌ فيما أسموه بـــ"المُفاصلة الكُبرى"!

هذه سيناريوهات لا تستطيع حبكها سوى أجاثا كريستي، كما ذكرنا، ولا شكَّ أن المُغرمين بأفلام الجاسوسيّة منُّوا النفس بفواصل في الإثارة الممتعة، ولم تخذلهم العُصبة ذوي البأس، فما زال للفيلم بقية... بالعودة لأصل الموضوع نُمسِكُ بأهم خيوطه، حيث أنه في جوف العاصمة الأثيوبية أديس أبابا ثمّة من كان على عِلم بالمُؤامرة، بل شارك في تجهيزاتها، سواءٌ بالصمت أو المشورة، أو تقديم تسهيلات لوجستيَّة. هؤلاء كانت التعليمات قد صدرت بإلحاقهم بإخوتهم، ثم أصبح مسرح العَبَث غاية في الاضطراب، لا يُعرَفُ مَن قتل مَن؟ ومَن الذي يُصدرُ القرار، ومَن سينفذه، وهي الحالة التي امتدَّت خيوطها حتى الخرطوم، العاصمة الثانية للجريمة... وفي الأولى، أي أديس أبابا، تجرَّع كأس المنون بعد بضعة أيام من الحدث اغتيالاً كلٌّ من "الدكتور عبدالله الجعلي" و"محمد الفاتح يوسف"، العاملين في الوكالة الإسلامية للإغاثة، على يد أحد العاملين معهم في المنظمة، الذي قتلهُما بدمٍ باردٍ وهرب، أو هُرِّب (يُقال إنه يعمل الآن في ديوان الزكاة)... والغريب أنه لم يكُن ضمن التصفيات التي اشتعل أوارها بعدئذٍ وسنستعرضها بالتفصيل. أما الذين كانوا على علم، فقد طُبِّقت فيهم سيناريوهات لا يُمكنُ أن تخطُر على قلب أعتى الأشرار!

ثمّة رواية تقول أن "ياسر عبدالله عبدالحفيظ" كان من المُشاركين أو العليمين بالتخطيط، ولكنه سُرِّح من العمل في جهاز الأمن بعد فشل العملية... وتردّد أن ذلك أورثه غُبناً شديداً، وتبعاً لذلك كان دائم التهديد بإفشاء أسرار جهاز الأمن... اقترح عليه رؤسائه السابقين أن يعمل عملاً تجارياً، ولا ندري إن كان ذلك لشغل نفسه أو درءً للشُبُهات... قام بافتتاح محل صغير في سوق "حلة كوكو" بمدينة الخرطوم بحري، ومُنح رأسمالٍ من جهاز الأمن، وبعد فترة وجيزة طمح إلى توسيع دائرة العمل، فقام بإشراك أحد أصدقائه ومعارفه، وهو يمُتُّ للواء الراحل الزبير محمد صالح بصلة قرابة... لكن لإبن عمه رواية أخرى[٦٣]، يقول فيها إن ياسر من مواليد

٦٣ شمس الدين ساتي - إفادة وردت في موقع سودانيز أون لاين.

مدينة كوستي، وتخرَّج في كلية التجارة جامعة القاهرة أواخر الثمانينات، ثمّ عمل موظفاً ببنك التضامُن الإسلامي، فرع كوستي، لكنه ما لبث أن انضمَّ للجبهة الإسلامية بعد حدوث الإنقلاب عام ١٩٨٩، وأرسل إلى ليبيا للتدريب على إنزال مظلّي، والحديث ما زال للمذكور، وبعد عودته عُوِّج في حرب الجنوب لفترة عام... بعد عودته، وُظّف في البنك العقاري، وتزوَّج من زميلة له تعمل في البنك نفسه، ثم ترك العمل في البنك، واشتغل بالأعمال الحرَّة لبعض الوقت، منها المحل الصغير في سوق حلة كوكو المُشار إليه... ولكن ما لم يذكره قريبه هذا، أن كل الأعمال والتنقلات المذكورة كانت تحت مظلة جهاز الأمن.

من جهةٍ ثانية، كان "الطيِّب عبدالرحيم" يتمتع بعلاقة صداقة قوية مع ياسر عبدالله عبدالحفيظ، توطدت بعد عملهما معـ في جهاز الأمن، وكانا قد سافرا إلى ليبيا للتدريب المظلّي كما ورد ذكره أعلاه... كن "الطيب" هذا من المُشاركين في العمليَّة، وهو من هرب إلى السودان بعد فشلها مباشرة، وذلك عن طريق نهر ستيت أو "القاش"، كما يُسمَّى في السودان... قبل إشراكه في التخطيط لمحاولة اغتيال مبارك، كان يعمل بشركة "دانفوديو" بكوستي، والواقع أن ياسر هو من حلَّ محله في الشركة بعد نقل الأول منها، وقبل أن يستقرَّ أمر الأخير على افتتاح المحل التجاري المُشار إليه سلفاً، بعد عودة "الطيب" من أثيوبيا هارباً، كان كثير الاستدانة من صديقه "ياسر"، الذي أصبح في وضع مالي جيِّد بعد توسُّعه في العمل التجاري.. وليس معروفاً لدينا إن كانت تلك الاستدانة بعلم جهاز الأمن، الشريك في رأسمال المحل التجاري، أم من وراء ظهره، لكن سيناريو ما حدث بعد ذلك يشير إلى أن جهاز الأمن ليس بعيد عن ذلك!

وضع "الطيِّب" خُطة لاغتيال صديقه "ياسر" بدعوى مطالبته المُلحَّة والمتكرِّرة له، وتلك ذريعة راها صُنَّاع سيناريوهات الموت والرُّعب مقنعة للتخلُّص من عبئه للأبد... أوحى الطيِّب لصديقه أنه سيرُدَّ له دينه في مدينة كوستي، وطلب منه أن يذهبا معاً... تحرَّكا في اليوم الأوَّل من شهر رمضان ١٤١٩هـ، الموافق عام ١٩٩٨ ميلادي، وفي الطريق إلى كوستى، وقبل بضع كليومترات من ضاحية "جبل أولياء" ادَّعى الطيِّب أنه بصدد زيارة أحد معارفه ممَّن يسكنون في منطقة قريبة من الشارع الرئيسي. لم يكن ثمَّة مانع لدى من طُرحَت عليه الفكرة بالطبع، لأنه ليس في عجلة من أمره، وإن كان الموت الذي يحوم حوله في عجلة من أمره... فارقت السيَّارة الشارع الأسفلتي، ودخلت في منطقة خلوية لا يُسمَعُ فيها سوى صرير رياح الخماسين، وهي تُودع حبيبَّاتها الدقيقة في العُيون، وبعد دقائق معدودات من المسير، أوقف الطيِّب السيارة وأخرج رشاشه وطلب من صديقه، أو ضحيَّته بالأحرى، أن يتلو الشهادتين رأفة به حتى لا يموت كافراً... ومثلما يفعل هُواة القتل في أفلام رُعاة البقر"الكاوبوي"،أفرغ بضع رصاصات في جسده، وتركه يسبح في دمائه، وقفل عائداً بذات الطريق الذي قطعاه معاً قبل ساعات، وإن لم يجد في سفره نصباً!

لم يجتهد الطيب في الاختفاء العسير، فقد ذهب مباشرة لمنزل شقيقته بمدينة الشجرة الواقعة جنوب الخرطوم، على ذات الطريق نفسه الذي سلكه القاتل والمقتول... أما إن سألت: لماذا يا قارئي الصبور لم يجتهد في الاختفاء العسير؟ سأقول لك، ليس لأن السيناريو كله كان فطيراً وساذجاً بدرجة واضحة، ولكن لأنه بالقدر نفسه أتاح للمراقبين ألا يجتهدوا كذلك في معرفة ما وراء الأكمَّة، أي لماذا يُجهد نفسه؟! ذلك لأن خفافيش الظلام التي ساعدته في رسم الخُطة الجهنميَّة كانت مختبئة في الخلاء الذي شهد الجريمة نفسها، وكشفت عن وجودها فور سماعها الطلقات، لا لتُلقي القبض على الجاني، ولكن لتؤكّد له إنها رأته قبل أن يواري سوءته (كما المِرْوَدِ في المُكْحَلَة) كما تقول الأمثال السودانيَّة الدَّارجة... وثمَّة خيطٍ في الرواية يقول إنها عزمت على تصفيته في المكان نفسه، ولكنها عَدَلت عن ذلك ليكون الثأر وفقاً للقانون!

عندما طال غياب القتيل "ياسر" عن أسرته، شَرَعَ أقرباؤه يبحثون عنه في كلّ مكان، وبعد أن كلُّوا وملُّوا من البحث الحثيث، عَمَدوا إلى مركز شرطة "حلة كوكو" لقُربها من محله التجاري، وفتحوا "بلاغاً" بالغياب... وبعد نحو عشرين يوماً بالتقريب، جاء من قال لهم إن صورة القتيل تُوجد في مباحث مدينة "بري" ضِمن القتلى مجهولي الهويَّة... كانت تلك فترة نَعِمَ فيها القاتل بحريَّة إلى حين، ولم يكن عصيَّاً على من شارك في الجريمة في الخفاء إلقاء القبض عليه، وأودع سجن كوبر، وفي السجن العتيد، وقبل أن يطرق حُكمُ الإعدام أذنه، كان يردِّد لسامعيه أنه سيُفشي بأسرار خطيرة، وكان ذلك "تخادُلاً" كفيلٌ بالتعجيل بإرسال قائله للدار الآخرة... لكن لأن "ياما في السجن مظاليم" كما يقولون، فإن كثرة ترديده تلك الروايات، كانت توحي لسامعيه الباحثين عن شيء يُروِّحوا به عن أنفسهم بين الجُدران، أنها محض بطولات إن لم تكن هرطقات!

رفض والد ياسر وأسرته الديَّة "الشرعيَّة" فغادر الطيِّب الدُّنيا بعد أن نُفذ فيه حُكمُ الإعدام بسجن كوبر.. وبالطبع، لا يدري أحدٌ إن حمل معه معنى اسمه أو نقيضه، لكن الثابت أنه قُبرَت معه أسرار قضيَّة عُمِّدت بالدَّم، وإن بقيت أسيرة صدور كاتميها، ولم تُكتبُ نهايتها بعد... مرَّة أخرى، ثمَّة شيء يمكن أن يُقال في خلفيَّة الأحداث.. كان فشل عملية أديس أبابا وتفرُّع دروبها، مدعاة لتغيير الإستراتيجيات في نظام حاصرته الأزمات الداخلية، علاوةً على أن العقوبات الاقتصاديَّة المتدرِّجة والتي تبناها المجتمع الدولي ممثلا في مجلس الأمن أحكمت عليه حلقاتها. لكن بحلول العام ١٩٩٦، ضعُف اندفاع العُصبة نحو بناء دولة أيديولوجية، أي دولة الخلافة الراشدة، علماً بأنهم في الأصل يعلمون استحالة ذلك ويتجاهلونه. فهل بالفعل تعلم العُصبة أنها تبنَّت الخيار الإسلامي كمطيَّة لتحقيق مآرب لا علاقة لها بالعقيدة السمحاء؟ هذا سؤالٌ صعب، لانه يستلزم الصِّدق مع النفس، وهو أمرٌ لن يتأتى مطلقاً، لأنه في مناخ الهزائم دائماً ما يتوارى أصحاب المشاريع الخاسرة. فلم يكن ثمَّة بُدٍ من أن يُطأطي الأيديولوجيون رؤوسهم "بفقه التقيَّة" بدعوى الحفاظ على المشروع، في حين واصل البراجماتيون صعودهم "بفقه الضَّرورة" بدعوى الحفاظ على المشروع أيضاً!

اقتضى التأرجُح ضرورة الإذعان لرغبات المجتمع الدولي من قبل الفئة الباغية، وهو يخطو حثيثاً في مضمار محاربة الإرهاب. والمُفارقة أنه بغضِّ النظر عن الحديث بلسانين، وبغضِّ النظر عن أن جريمة أديس أبابا ما تزال شاخصة أبصارها في الأفق، لكن العُصبة ذوي البأس أوحت لمتهميها إنها أيضاً ستسير في ركاب محاربة الإرهاب! يقولُ جيراننا بشمال الوادي في أمثالهم الدارجة: "الكلام ببلاش.. مش بفلوس"، وعليه طبقا لذلك شرَعَت العُصبة في أكل الكيكة والاحتفاظ بها في نفس الوقت، على حدِّ المثل الغربي السائد أيضاً.. أي أن ترعى الإرهاب وتحاربه في آنٍ معا، لكن بالرغم من أنه ليس عسيراً على الحيّة أن تغيِّر جلدها، لم يخطر على بال أحد أن تضحّي بالذين استجاروا بها، ففتحت باب المزاد على مِصرْاعيه ليتسابق المُزايدون، بما في ذلك النظام الذي كادت أن تُهلِك رئيسه، إذ قدّموا له أكثر من مائة من جماعة الجهاد نفسها، وشمل ذلك آخرين. وفي فبراير ١٩٩٦، زار سفير السُّودان لدى الأمم المتحدة، اللواء الفاتح عروة الولايات المتحدة الأمريكيّة، وعرض على مسئوليها تسليمهم أسامة بن لادن مقابل تخفيف العقوبات السياسيّة والاقتصاديّة، وبعد أن رفضت السعوديّة العرض نفسه قبل ثلاثة أشهر لاحقة، قام السُّودان بطرده، رضوخاً لطلب نائب المخابرات الأمريكيّة، امستشار صامويل ساندى بيرجر.[٦٤]

في تطوُّرٍ دراماتيكي نادر خلف الأبواب الموصدة، سجّلت حادثة أديس أبابا وجوداً خارج الحدود، وذلك في أهم تفاوض حول القضية السودانية. حدث ذلك في ضاحية "مشاكوس" بكينيا بعد أن وقّعت الحركة الشعبية لتحرير السودان ونظام الخرطوم على "إعلان مبادئ" بموجبه انطلقت القضيّة كأنها جلمود صخر حطّه السيل من علٍ.. في بداية الأمر، ظنّ الطرفان أن جولة المفاوضات ستكون كسائر الجولات الفاشلة على مدى ما يناهز العقدين، ولكن موقفاً صارماً للوسيط القس جون دانفورث وضّح أن الأمر على عكس ما يظنون، حيث أنه وضع مسودّة "إعلان المبادئ" أمام الطرفين، وإزاء تلكؤهما ومحاولاتهما التباطؤ، منحهما الوسيط مهلة قليلة، على أن يعودا بعدها للتوقيع، واشترط في ذلك تحمل من يتمنع النتيجة.. أفلحت العصا في توقيع الطرفين، وبعدها وضع الوسيط الجزرة التي تُحفز على مواصلة المسير.[٦٥]

بغضّ النظر عن تفاصيل كثيرة أوردنا وقائعها في مؤلف سابق، نخلص إلى أن ملف محاولة اغتيال الرئيس حُسني مبارك ظهر في فترة من فترات التفاوُض، حيث وعدت الولايات المتحدة الأمريكية التي يمثلها القس جون دانفورث، المبعوث الرئاسي في إدارة الرئيس جورج دبليو بوش، في إحدى جلسات التفاوُض بعدما إدلهمّ ليلها، أن تعمل على تحسين العلاقة بين مصر ورئيسها المعني بالاغتيال والعُصبة المتورّطة، وعلى رأسهم السيد علي عثمان طه، حامل الأوزار.. هذا ربما فسّر للبعض كيف

---

٦٤ صحيفة الواشنطن بوست ٣٠/٦/٢٠٠٢

٦٥ ذلك ليس سوى ما سماه فيما بعد المبعوث الرئاسي عرضاً مغرياً بقطعة حلوى Candy حيث قال إن الوضع يحتاج لحوافز في سياق مهمته في ندوة بواشنطن والمعروف أنه اتبع تكتيكاً ناعماً مع النظام بحسب رؤيته أن ذلك يمكن أن يقود للنتائج إلى أن غادر منصبه ليصبح سفيراً لبلاده في كيب

ولماذا قابل الرئيس مبارك مُدبِّر محاولة قتلِه لمدة وجيزة لا تتعدَّى عشر دقائق، وكان ثمنها عقودٌ وسنوات دفعها البلد الذي تسلطت عليه العُصبة، وقضت بفصله من خاصرته، ولكن كيف ولماذا؟ أعلم أن الألغاز أرهقتك يا عزيزي القارئ، ولكن مهلاً فساسة أهل السودان لا يقوون على الصبر الطويل كما سيِّدنا أيوب. فهذا ما سيُعيئك على ذكره دكتور حسن الترابي في حَلِّ طلاسمه، وإن جاءت مُتأخرةٌ سنوات عددا!

ففي أثناء زيارته "التاريخيَّة" للقاهرة سالفة الذكر، والتي استدعت الحدث الذي نحن بصدده بكثافة في أذهان المراقبين السياسيين، قال رداً على سؤال: لماذا سمحت السلطات امصرية بزيارة على عُثمان محمّد طه، ومنعته هو فيما قبل مراراً وتكراراً: «**علي عُثمان طه يعمل بتنسيق وتعاون مع جهات غربية كثيرة، وحقق لها منافع متعدِّدة، وعلى اتصالٍ دائم معهم، وعلاقته بهم جيدة جداً، مع أنه لم يدرُس في الغرب أو يمكث فيه كثيراً مثلنا. وهو حاول كثيراً استرضاء أمريكيا بأي طريقة، ويكفي أنه وقع على اتفاقية نيفاشا عام ٢٠٠٥ في محاولة منه لتأمين نفسه، وتوثيق علاقاته بالطريقة التي أرادها الغرب، الذي كان يضغط على بعض الزعماء ومنهم مبارك لاستقبال علي عثمان طه**»[٦٦]، أي يعني تأميناً لسير المفاوضات وتليينا لمواقف المذكور بغية الوصول للهدف المنشود وإن طال الصبر!.

بغضّ النظر عن ايحاءات المكايدة المألوفة، فذلك قولٌ يعلمه تماماً الذين يعرفون طرائق وسُبُل دكتور الترابي في الكرِّ والفر! من المفارقات الغريبة أن الترابي وجد نفسه في مصر بعد ما يقارب ربع قرن من الحرمان (آخر زيارة كانت في العام ١٩٨٨ أي قبل الانقلاب).. دخل مصر الذي هدَّده فيها رئيسه، والذي حمّله كل تبعاتها، ولم يتزحزح قيد أنملة عن ذلك، بل هدَّد في حديث داخل الصوالين المغلقة وانتشر قليلاً في الهواء الطلق، أن الترابي إذا حضر للقاهرة فلسوف يودعه سجن "ليمان طرة".. هذا ما كشف عنه أيضاً الترابي فيما بعد: «**أتذكر أنني كنتُ أريد زيارة القاهرة في أواخر التسعينات، لكن مبارك قال لإخواننا: الترابي لا يأتي إلى مصر ولو جاء فسأضعه في سجن ليمان طره**»،[٦٧] (أشهر سجن مصري للمعتقلين السياسيين).. والمفارقة أن القائل مضى في طريقه للسجن، والترابي زار عاصمة بلاده.. والمفارقة الثانية أن السيِّد علي عثمان طه، عرّاب المحاولة التي شاءت إزاحة الرئيس من كرسيِّه وإرساله للدار الاخرة كان مخططاً له أن يكون في زيارة للقاهرة في نفس الفترة التي كان فيها الترابي (منتصف يوليو ٢٠١١)، فراجت تقارير صحافية تتحدَّث عن أن القاهرة ستشهد مصالحة الغريمين! وكان ذلك من سقط القول الذي يُعِدُّه المراقبون شططاً في السياسة السودانيّة. وعليه قد لا يكون مهماً القول إن الزيارة المذكورة

---

٦٦ حوار مع صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ ٢٠١١/٧/٣٠ والجدير بالذكر كان طه قد بدأ زياراته للقاهرة منتصف يونيو ٢٠٠٥ بمعية الدكتور جون قرنق لتسهيل التفاوض مع التجمُّع الوطني الديمقراطي برئاسه الميرغني لتوقيع ما سُمِّي بـ" تفاهم القاهرة" بين كتلتي المعارض والنظام.

٦٧ المصدر نفسه - حوار- صحيفة الحياة اللندنية ٢٠١١/٧/٣٠.

لعرَّاب محاولة قتل الرئيس تأجَّلت عُدَّة مرَّات، لتتم في وقتٍ لاحق بعد مغادرة الترابي لمصر، ببراءة تفوقُ براءة الذئب من دم ابن يعقوب!

في خلفية الأحداث التي تركناها عند منعرج اللوى بين الخرطوم وأديس أبابا، ظهرت على السطح شخصيَّة أخرى مثيرة للاهتمام في سياق تداعيات "واقعة" أديس أبابا، كان ذلك هو المهندس علي البشير، أحد الكوادر الشبابية القيادية في التنظيم، وهو أيضاً من المعروفين في الدوائر الأمنية والتصنيع الحربي، وله إسهامات بارزة في المجالين.. كان قد التحق بسلاح المدرَّعات بعد الانقلاب عام ١٩٨٩ وتولى حينها المهام التأمينية الصعبة، وشارك في العمليات العسكرية في الجنوب، وتحديداً في ولاية الاستوائية، وبعد عودته أُرسل لسفارة السودان في تشاد، حيث أُنيطت به مهمة التحقيق في صفقة أسلحة تمّ فيها اغتيال أحد كوادر التنظيم القيادية. وتردّد أن للسيد صلاح قوش ضلع في تلك الصفقة. وبعد عودته للخرطوم، ونسبة لخبرته الأمنية تمّ تعيينه رئيساً للجنة التحقيق في محاولة اغتيال الرئيس مبارك، وهو تعيينٌ ماكر كما أقرَّ بذلك بعض المراقبين، أراد التنظيم أن يقول أنه يتبع الشفافية ولا يجد أي حرج في البحث والتحري والاستقصاء!

كان من البديهي أن تنهال معلومات هائلة على "المهندس علي البشير"، فوجد نفسه في بطن العملية نفسها، وإن أؤتمن عليها وفق الأجندة الباطنيَّة للتنظيم. وهذه مُسلمة تصلح في عُهُود الصفاء والنقاء، لكنها لا تصلح في أزمنة الولاء. لهذا فقد حدث ما لم يكن في الحُسبان، أو يخطر على قلب كادر من كوادر التنظيم. فالعُصبة التي كانت على قلب رجلٍ واحد منذ تأسيسها انقسمت إلى فصيلين: المؤتمر "الوطني"، والمؤتمر "الشعبي"، أي"القصر" و"المنشيَّة" بحسب التوصيف السائد، إذ مضى الأحباب كلٌ في طريق.. ومن ضمن هؤلاء، اتَّخذ المهندس علي البشير جانب الفئة الثانية، أي التزم صف الدكتور حسن الترابي، وهو خيارٌ يتقاطع تماماً مع ما حمله من أسفار، تلك التي يعتبرها دكتور الترابي كنزاً لا يَفنى بالتقادُم. ولهذا كان حريٌ بجماعة "الوطني" أن ترمي له بالترغيب أولاً، وفي هذا الصدد تقول دوائر التنظيم الخاصة، أن الفريق أوّل صلاح قوش حاول استمالته لجناح القصر، وعرضَ عليه رُتبة كبيرة في جهاز الأمن، لكنه تمنّع ولم يرفض صراحة، وإزاء اشتداد الأزمة بين الطرفين، ورفضه عروض الترغيب، كانت حصا الترهيب تقف حاضرة خلف الكواليس، فصدر قرارٌ باطني بضرورة التخلُّص منه، وشَرَعَ خفافيش الظلام في التخطيط لقتله بسيناريو أشبه بسيناريوهات الرُّعب والموت والإثارة.

ذلك السيناريو اقتضى إرساله للدار الآخرة بأقصر الطرق.. الغريب في الأمر لم تحتاج القضية لكبير شيء في التخطيط على النمط "الهوليودي"، بمثلما لم يحتاج التنفيذ لصغير شيء في التدبير، أي بمثلما تفعل "المافيا" الإيطالية مع منسوبيها حينما يختلف السُرّاق حول المسروق. قصدَ منزله بضاحية "الدروشاب" ثلاثة من كوادر التنظيم مُدجَّجين بمسدسات مزوَّدة بكاتم للصوت، وتعليمات عقديَّة مختصرة وواجبة التنفيذ، قضت بإعدامه فوراً، بغية أن تُعدَمَ معه أسرار ضاقت بها عُصبته السابقة، وإن

لم يضق بها صدر الضحيَّة. ورغم كل ما يعرفه الناس عن هذه الفئة المارقة من ثقافة المجتمع السُّوداني الوديع، لم يخطر على قلب بشر أن يتمَّ تنفيذ اغتياله أمام زوجته وأطفاله بدمٍ بارد. لكن الذي علِمه الناس فيما بعد، أن التنفيذ تمَّ بعد مقابلة له مع "نصرالدين" مدير العمليات الخاصَّة، الذي وَرَدَ ذكره في سياق التحوُّلات بين الأجهزة أعلاه، إلى جانب ضابط أمن آخر هو "الفاتح الجيلي"، وبعد بضعة أيام من العرض الذي طرحه أمامه الفريق صلاح عبدالله قوش ورفضه المغدور!

نظراً للمُلابسات التي شابت القضية بما وَرَدَ ذكره، ارتأت العُصبة أن تتخذ منحىً قضائياً، أو هكذا أوحت لمن كشَّر أنيابه في وجهها وهو كظيم.. وَرَدَ في محضر التحقيقات الموءودة ن أحد الشهود في الجريمة اسمه "تاج الدين بانقا محمد أحمد"، وهو من مواليد العام ١٩٦٦ المناقل بولاية الجزيرة، وتخرَّج في جامعة السُّودان، بكالوريوس هندسة ميكانيكا عام ١٩٩٣، وكان عضواً في المجلس الثلاثيني لاتحاد طلاب ذات الجامعة لدورة عام ١٩٨٩، وبعد أن غادر أسوار الجامعة، تنقَّل في وظائف مختلفة، منها عمله في مؤسسة تسمّى "مَدَاخِلْ" إلى جانب صديقه المغدور به، المهندس علي البشير. وواقع الأمر أن "مَدَاخِلْ" هذه ليست مؤسَّسة بالمعنى المؤسَّسي المعروف، ولذا سيكون لنا معها شأنٌ آخر بعد حين!

أثناء التداوُل في القضيَّة، حدث ما لم يكُن في الحُسبان، إذ دخل قاعة المحكمة رقيب أمن اسمه "مجدي" مدَّعياً إنه من الشرطة، وقال إن بلاغاً جنائياً مفتوح ضد الشاهد بانقا منذ عامين بحيازة سلاح ناري بدون ترخيص. فبُهت القاضي "كباشي" الذي جَرَت وقائع ما ذكرنا أمام عينيه، ولم يستطع أن يحمي بانقا الذي أقتيد إلى مكتب تابع لجهاز الأمن جوار مقابر فاروق، ثمَّ أُفرج عنه، لتبدأ غرائب محكمة جديدة أمام قاضي درجة أولى، هُو مولانا علي الأمين الطيِّب في نيابة الجرائم الموجَّهة ضد الدولة. أثناء تداوُل القضية، كانت هناك أصوات خلف الكواليس تقدِّم العرض تلو الآخر لوالد علي البشير بُغية إغلاق ملف القضية ووضعها في الأضابير، لكن الوالد المكلوم رفضها جميعا، فقد نكأ له اغتيال ابنه "علي"، جراح شقيقه "منتصر أحمد البشير" الذي أُغتيل في حرب الجنوب!

بَيْدَ أننا حتى نفهم ونستوعب عمليَّة أديس أبابا بكل طلاسمها المُتشابكة، ينبغي علينا التوقُّف قليلاً في أهمِّ محطة، والتي تشكِّل الخلفيَّة الحقيقيَّة لتلك العمليَّة، وعمليَّات أُخَر في تاريخ العُصبة ذوي البأس.. ذلكم هُو صِرَاعُ الأجهزة الأمنيَّة الخاصَّة، وهي بالفعل غابة، لا يستطيع داخلها – حتى من الجماعة – إلاَّ أن تشوكه شوكة كأخفِّ ضرر.

# المَشْهَدُ الثاني

# النوم مع الشيطان!

قبل الانقلاب الذي نُفذ العام ١٩٨٩، كان **"جهاز المعلومات الخاص"** بالحركة الإسلاميَّة قد انبسط وتمدَّد، ليُصبح أكبر جسم باطني في تاريخ الأحزاب السياسيَّة السودانيَّة مجتمعة، فقد ضمَّ الآلاف من الناشطين الذين تنوَّعت وتعدَّدت مصادرهم، ومنهم: مصادر عقائديَّة ملتزمة، مصادر مأجورة، ومصادر متعاطفة.. وكانت ثلاثيَّة المصادر هذه مثبَّتة في كل حي من أحياء السُّودان، لا تغيب عنها شاردة أو واردة. ثمَّ هنالك "جهاز طوارئ" ينضوي تحت لوائه آلاف من المُدرَّبين على السلاح تدريباً جيداً، وهناك المئات في قطاع المهن والعمَّال، وكذلك آخرون مدرّبون على العمل الاستخباري، مثل حماية الشخصيّات الهامّة وحفظ وتأمين الأماكن والوثائق، وكذا الاختطاف والاختراق والتهريب، إلى جانب كل أعمال الهَوس العقائدي. إضافة إلى ذلك، هناك فئة هامة جداً، يُطلقُ عليها مصطلح "السوّاقين"، وهُم فئة المدنيِّين الموصولين بالعسكريِّين ليكونوا وسيطاً بينهم وبين قيادة الحركة التنظيميّة.. ومن أهم هؤلاء، على سبيل المثال: أحمد علي الفشاشُويـة، الزبير محمد الحسن، علي كرتي، محمد الحسن المقلي (شقيق عبدالله حسن أحمد، الذي توفي إلى رحمة الله)، ثم علي الرّوَى (أيضاً توفي قبل أعوام بعد إصابته بمرض السرطان).

غير أن الجدير بالذكر أن كواليس "الجماعة" تقول إن أغلب رموز وقيادات "العمل الخاص"، لا سيّما جماعة"السوّاقين"، قد يكونوا من الأذكياء الذين "يمتازون" بخاصيَّة الكتمان، لكنهم في الوقت نفسه يُصنفون كعاطلين عن المواهب السياسيّة. لذلك، تجدهم وقد لجأوا إلى تسنُّم ودخول قطاع المال والأعمال بعد حين، وهُم أيضاً من أدخل "بدعة" زواج "أرامل الشُهداء"... نستشهد في من ذكرناهم أيضاً، على سبيل المثال: "الفشاشوية" الذي ألقى بقبضته على "بنك أم درمان الوطني".. ثم الزبير محمد الحسن الذي تقلب بين بنك السودان ووزارة المالية.. أما علي كرتي، الذي كان ثرياً حين كان معظم قيادات الحركة فقراء، فقد أثرى من واردات الجيش، واحتُكرَت له كثير من صفقاته، لدرجة أن تعلق قلبه بأن يكون وزيراً للدفاع، فيما ظنّ أن خبرته على رأس قوات "الدفاع الشعبي" تؤهّله لاحتلال ذلك المنصب المذكور، لكن "الرئيس" البشير الذي استبطن طموحه، لربّما بسبب هواجسه من أن يأتي غيره بمثل جريرته، فقطع عليه الطريق وصار يقذف به بعيداً عن شواطئه، أي نحو العدل ثمّ الخارجيّة.[٦٨]

---

٦٨ بعد نجاح الانقلاب ظهرت حساسية البشير ولعسكر من "السوّاقين".. والجدير بالذكر أن أغلبهم تحول للمؤتمر الشعبي بعد المُفاصلة وفي يومها، أي في الرابع من رمضان (ديسمبر ١٩٩٩) عرضوا على الدكتور الترابي اعتقال البشير وعلي عثمان وقلب الأوضاع لصالحه، لكنه رفض.



obeikandi.com

يقول البيولوجيون (عُلمَاءُ الأحياء) إن العقرب عندما لا تجد من تلدغه وتُفرغ فيه سمومها، تلدغ أحياناً نفسها! ربما لهذا السبب جَنَحَت الجماعة بعد تنفيذ الانقلاب ونجاحه مباشرة، في أوليات مهامها التنظيمية، إلى حل الأجهزة الخاصَّة كافة، باستثناء "مكتب الاختبار" الذي أسند إليه اختيار العناصر الأكثر والأفضل ولاءً لضمِّها إلى الأجهزة العسكريَّة، وتحديداً الكليَّة الحربيَّة وكليَّة الشُرطة، ثمَّ التيَّار العسكري الجديد والهام جداً، "جهاز الأمن"... كما تولى "مكتب الاختبار" مهمَّة ضبط التوازُن العرقي لصالح "الوسط" و"الشمال"!

اقتضى ذلك تكوين ما سُمِّي بـــ"لجنة الأمن والعمليَّات العُليا"، ورأسها اللواء الزبير محمد صالح، وضمَّت بعض العناصر المنتخبة، نشط منهم بشكل خاص عنصران أساسيان، هُما: الرائد إبراهيم شمس الدين، والمهندس موسى سيد أحمد المُطيَّب، وإليهما تعود أفكار الحسم والعَدْم، تنظيراً وتفعيلاً، وقد شاءت إرادة المولى تبارك وتعالى أن يقضيا أجلهما كلٌ منهما في حادث تحطُّم طائرة. وفيما يتعلق بالاعتقالات التي طالت العديد من الناشطين السياسيِّين وغير الناشطين، وما صاحب ذلك من قصص مثيرة تتحدَّث عن الظاهرة الشيطانيَّة المُسمَّاة بـــ"بيوت الأشباح"، والتعذيب والتنكيل والقتل الذي كان يجري بداخلها، يجدُرُ بنا تأمُّل دور "لجنة الأمن والعمليَّات العُليا" هذه بصورة عامة، ثمّ دورها الخطير في رصد حركة رمضان/أبريل ١٩٩٠، وإعدام الضبَّاط الـــ ٢٨ الذين قيل أنهم كانوا يُخططون للقيام بانقلاب عسكري مماثل لانقلاب الإنقاذيين، وإلى جانبهم عشراتٌ من ضبَّاط الصف والجنود، دون مُحاكمات .. ويُنظرُ أيضاً بتأمُّل إلى دورها في إعدام الشُبان الثلاثة: "مجدي محجوب" والطيَّار "جرجس يُسطس" والمواطن الجنوبي"أركانجلو داقاو"!

كان هذا بعضٌ ممّا جرى في الباطن، أما في الظاهر، عملاً بسُنة أن للدولة جهاز أمن رسمي، فقد اقتضى الترتيب تكوين جهاز أمن، والإعلان عنه، باعتبارها ضرورة لحماية "أمن الدولة" من المُخرِّبين والعُملاء والجواسيس والطابور الخامس... وكمرحلة تمهيديَّة، أو إن شئت فقل تمويهيَّة، تقلَّد إبراهيم نايل إيدام جهاز الأمن هذا لفترة قصيرة، وتقول أسرار الباطن أنه أقيل لأسبابٍ عنصريَّة، وتلك من المسائل التي تضيق بها الصدور... أيا كانت الأسباب، فقد مضى إلى رحاب مناصب أخرى ليواصل فيها دور المُمثل الكومبارس، إلى ان قُذف به في اليَمِّ الذي ابتلع رفاقه الميامين أيضاً، ممّن سُموا ذات يوم بـــ"أعضاء مجلس قيادة ثورة الإنقاذ الوطني"، حيث تولى المنصب بعده الفريق محمّد السنوسي، واختير الدكتور نافع علي نافع نائباً له، قادماً من كلية الزراعة، جامعة الخرطوم مباشرة، ومُنِحَ رُتبة "عميد"... ولأنّ بعض الظنِّ إثمٌ، كما أكد المولى تبارك وتعالى، فلن يظنَّ أحداً، وبالطبع فإن المذكور بعد أن أفصح عن سريرته وذاع سِرّه بين الناس أنه كان يطمح لدرجة مدنيَّة مماثلة لتسمية "عميد" في الجامعة العريقة "الخرطوم"، التي كان يُدرِّس في إحدى كلياتها "الزراعة"! على كلٍ، بعد فترة أعفي الفريق محمد السنوسي، وتولى نافع علي

نافع منصب مدير عام الجهاز، والذي كان فيما يبدو توّاقاً لتفعيل وتنميط وتجسيد ما اختزنه زمناً في صدره، بمثابرة لا يقوى على فعلها إلا من أنتزعت منه مشاعره وأحاسيسه الإنسانيَّة. وفي هذا الشأن، يحفظ السُّودانيون في صدورهم قصصاً وروايات ليوم تُكشفُ فيه الحُجُب والأستار!

من باب الإنصاف وعدم رمي الناس بالباطل، نودُّ في هذا المقام أن نبرِّئ "النافع" من "ضَرَر" ألحقه بسيرته الناصعة البياض كثير من المُغرضين – وأنا منهم – الذين كانوا يكتالون عليه بشائعة تلقيه تدريباً حركياً في طهران، وفيما يبدو أن ذلك شاعَ على إثر غيابه عن ساحة العمل الأكاديمي لعددٍ من الشُّهور، ولم يستطع أحد إلى الآن أن يعرف أسبابها! لكن الذي علمناه أنه برئ من "تُهمة" التدريب في إيران هذه... ولِمَ لا، فالرَّجُلُ فيما يبدو لم يكن في حاجة لزيادة خبرته في مضمار يستطيع فيه أن يُصدِّر خبراته للآخرين... من جانب آخر، فقد ثبت لنا أيضاً من خلال البحث والتحرِّي والتقصِّي أنه كان فيما سَبَقَ مسئولاً عن المعلومات في "أمانة الفئات"، وذلك كيانٌ كان يرأسه – أو أمينه العام – الدكتور مجذوب الخليفة، فالمعلومات الثمينة في هذه الأمانة عن "الفئات" كانت مهمّة للغاية من الناحية التنظيميَّة، لأنها يُعتَمَدُ عليها في التصنيف لانتخابات النقابات بشكلٍ خاص. وكان مكتبه يحتوي على سِجلٍ كاملٍ لكلِّ العاملين في السُّودان، مصنَّفين وفقاً لموائفهم في أدبيات التنظيم (ملتزم، متعاطف، محايد، معادي).. ولكي يجعل نافع علي نافع عمله سهلاً وميسوراً، صكّ مصطلحاً من خبرته الزراعية وسمّاه بـــ"الجرثومة"، وهي الصفة التي تُمنَحُ للكادر الذي يملك مقوِّماتٍ تجعله قابلاً لأن يكون رجل أمن!

لكن بالطبع ليس نافع وحده من يستطيع أن يُنجزَ غايات نبيلة، إذ كان لابد لها من وسائل، فتطلب الأمر فريقاً من المُعاونين من ذوي البأس أيضاً.. لهذا فإن أوّل عملٍ قام به المذكور ضمَّ جماعة منتخبة من خرِّيجي الجامعات، خاصَّة جامعتي الخرطوم والقاهرة فرع الخرطوم، وتمَّ تعيينهم ضباطاً رسميين في جهاز الأمن، وهُم نفس كادر ما سُمي بـــ"مكتب المعلومات" المُشار إليه قبلاً، لكن المُفارقة أن أغلبهم لم يدخُل أياً من أجهزة "التنظيم" غير "مكتب المعلومات" المذكور، كذلك فإن نحو ٩٠% منهم كانوا أدنى مستوىً في "التربية الحركية" التي استنها التنظيم، وكانت لزاماً على الأعضاء.. أي أن عدداً لا بأس به منهم كنوا مِمّن لا ينتظمون في الشعائر، وبخاصة الكبار منهم.. ضمن هذه الكوكبة كان: صلاح عبدالله قوش (هندسة جامعة الخرطوم)، محمد عطا المولى (هندسة جامعة الخرطوم)، حسب الله عُمَر (هندسة جامعة الخرطوم)، عِمَاد الدين حسين (معمار جامعة الخرطوم)، جمال زَمقان (هندسة جامعة الخرطوم)، طارق محجوب (هندسة جامعة الخرطوم)، الرشيد فقيري (هندسة جامعة الخرطوم)، كمال عبداللطيف (اقتصاد جامعة الخرطوم)، عُمَر نِمِر (تجارة جامعة القاهرة)، محمد حسب الرسول (تجارة جامعة القاهرة)، نصرالدين محمد أحمد (اقتصاد جامعة الخرطوم)، عُمَر الأمين (حقوق جامعة القاهرة)، محمَّد الحسن أبوبكر (تجارة

جامعة القاهرة)، كمال موسى (حقوق جامعة القاهرة).. وبالطبع له أن يباهي بأنها كوكبة "تسد عين الشمس"!

مثلما أن لكل شيء استثناء، فثمَّة حالة خاصة، هي حالة الدكتور مُطرف صدِّيق النِميري، إذ تخرَّج عام ١٩٨٠ من كلية الطب، جامعة الخرطوم، وعَمِلَ سنة الامتياز في مستشفى سوبا، ثم انضمَّ لطاقم "وكالة الإغاثة الأفريقيَّة الإسلاميَّة"، وشَغَلَ منصب مدير مكتب نيروبي وشرق أفريقيا، ثم عاد وتفرَّغ مع "مكتب المعلومات" في الجنوب، وعُيِّن رأساً مديراً لفرع العمليات الخاصة في "جهاز أمن نافع"، وهو الفرع الذي كان كله بيد صلاح قوش.. لذا فهذه السيرة العطرة لابدَّ لها من أن تُواجَهَ بالأسلحة امضادَّة وفقاً لطبيعة بعض البشر، والمذكورين في طليعتهم.. بدأ صراعُ الكواليس يشتد توهُّجه بين الغريمين (مُطرَّف صدِّيق وصلاح قوش)، وبالطبع كان ذلك نتاج التراتُبية، فطبقاً لأقدميَّة "أبناء الدُفعة" لم يكن ممكناً لصلاح قوش إلاَّ أن يكون نائباً لمُطرف صدِّيق، والذي حوَّل "العمليات الخاصة" إلى مركز القلب من الجهاز، خاصَّة في المُداهمات والاعتقالات والتحقيق مع المُعارضة، بل والتعذيب والتنكيل.. وبدوره أيضاً استعان بعددٍ كبيرٍ من كادر مكاتب المعلومات في الجامعات والثانويات، ممَّن لم يدخلوا الجامعات، أو لم يتمكنوا من التخرُّج منها!

لأن السُنَّة الحميدة التي دَرَجَت عليها الأجهزة الأمنية هي سياسة التخفي، ولبس الأقنعة، وانتحال الوظائف، ومنح الأسماء المستعارة، ومشاركة الناس الطبيعيين حياتهم التي درجوا عليها في السرَّاء والضرَّاء، وتقمُّص البراءة في العلن، وتقمُّص أدوار الشياطين في الخفاء... تفرَّقت عناصر جهاز الأمن بين الناس ليأكلوا الطعام ويمشوا في الأسواق... وضمن هذا السياق، اتجهت غالِبيَّة معتبرة من القيادات الأمنيَّة في الجهاز للعمل في شركة أطلقوا عليها اسم: "دانفوديو" الهندسية، بجانب أن أغلب الدبلوماسيِّين الذي عُيِّنوا بعد الانقلاب كانوا يعملون في الوكالة الأفريقية الإسلامية للإغاثة، التي كان مديرها د. عبدالله سليمان العوض.. وكما يعلم الجميع، أنه بمثلما تناسَلَت السِّنين، تناسَلت الشِركات الأمنيَّة في عهد صلاح قوش فيما بعد، حتى أصبح الرَّاصدون في حاجة لُعينُهم على عمليَّات الجَّمع والطرح والضرب والقِسمة!

بعد تأسيس الجهاز الرسمي بقيادة نافع علي نافع وكوادر "مكتب المعلومات"، عنَّ للجماعة في إطار سياسة التخفي سالفة الذكر أن تؤسِّس ما عُرِفَ بـــ"معهد التدريب والدراسات الفِكريَّة والحركيَّة"، وكان يُختصرُ في كلمة: "قِمَم". وتفرَّغ لهذه المُهمَّة الجديدة شكلاً وموضوعاً كادر اسمه "بَكداش أحمد المصطفى" (وهو من أبناء منطقة الحصاحيصا، ترك الدراسة بعد سنوات في جامعة الخرطوم، كلية الاقتصاد، ولم يتجاوز السنة الثانية، ومن المُفارقات التي لحقت ببعض أهل السُّودان أن والده كان شيوعياً هواه، فإيماناً منه بالمبادئ التي اعتنقها، أراد منح هويَّته لابنٍ وُلِدَ له، فسمَّاه بـــ"خالد بَكداش"، تيمُّناً بالزعيم التاريخي للحزب الشيوعي السوري.. لكن فيما يبدو أن الابن خذل والده، واتجه نحو المعسكر النقيض، وبعدها لم يسمع أحد من الناس

باسم "خالد بَكداش" وأصبح صاحب الاسم يُعرفُ باسم "شيخ خالد" طبقاً لحالة الجذب الصوفي الذي دخل في أجواءها)! ولاحقاً قام بتأسيس قناة تلفزيونية أطلق عليها اسم "ساهور" وألحقها بإذاعة سُمِّيت بـــ"الكوثر"، وصار الرجل مؤلفاً للعديد من قصائد "المديح النبوي"! وهو رغم ذكائه ولكاريزما التي يتمتع بها، إلا أنه كان غريبُ الأطوار، يجمعُ دائماً حوله عدد من الشباب الأولاد والبنات، ويؤثر فيهم تأثيراً بالغا، الأمر الذي يؤكده تحوُّلهم معه إلى متصوِّفين منجذبين عندما أسَّس الإذاعة والمحطة التلفزيونيَّة المذكورتين!

ليس هذا فحسب، فواقع الأمر أنه قبل الوصول لهذه المحطة، فإن سيرة "خالد بكداش" سابقاً و"الشيخ خالد" لاحقاً جديرة بالوقف قليلاً.. ففي سياق المنافسة المحمومة بين الأجهزة التي تفرّخت، كان للرجُل تاريخٌ حافل بالخصومة، بل واحتقار كادر "مكتب المعلومات" (أي صلاح قوش وجماعته)، وفي هذا الصدد تمكّن في فترة وجيزة من مدِّ خطوطه إلى كل أجهزة الحركة داخل السُّودان، وإلى الحركات الإسلاميَّة في كلِّ أنحاء العالم، وكان بإشراف اللواء "الفاتح عروة" الذي كان يشغل أيضاً منصب مستشار رئيس الجمهورية لشئون الأمن، فأعمل كل خبراته في كيان قال أنه "كان يحلم به"، فأثارت الأنشطة الحافلة غيرة وحفيظة سدنة "الجهاز" الرسمي!

لكن الجدير بالذكر أنه ما كان له أن يفعل ذلك - ولا ينبغي له - لولا أن الأمر برُمَّته، كان تحت الرعاية والحماية الكاملة من "الدكتور حسن الترابي"، وتلقائياً يُدركُ القارئ أن الفكرة في الأساس كانت من بنات أفكاره، تجسيداً لرغبته في تنزيل إستراتيجية التنظيم فيما سُمِّي بـــ"جهاز الأمن الشعبي"، ليقوم بأنشطة تتوازى مع طموحات التمدُّد خارج الإطار الجغرافي، تلك التي قال عنها البعض "الأمميّة الإسلاميّة"، وطبقاً لهذه المعلومات لا شكّ أن ذاكرة البعض مِمَّن قرأوا "سقوط الأقنعة" قد توهَّجت، ذلك فيما ذكرناه من أن المتربِّصين بدكتور الترابي جاءتهم فرصة "قَدريّة" تجرجر أذيالها، وذلك حينما تعرّض لما سُمِّي سانحة بـــ"حادث كندا"، فبينما كان الشيخ بين أصابع الرحمن، انقضّ الحواريون على جهاز "قِمَم"، فخلعوه كما يخلع رجل زوجه الناشز.. وحتى يصبح أثراً بعد عين، صادروا كافة ممتلكاته وبعثروا كوادره، وعليه تلقى بكداش "ضربة" مماثلة من حيث لم يحتسب!

لكن ذلك لم يدُم طويلا في صراع "الأخوة الأعدقاء" خلف الكواليس، فبعد أن عاد الشيخ وتعافى ممّا أصابه في كندا، علم بالطبع بأحابيل الأبناء الجانحين، فاجتهد قدر طاقته التنظيميّة المعروفة لإعادة كثير من الأمور إلى حياضه مرّة أخرى، ومن ضمن ذلك عودة "قمم"، ولكن تحت مُسمّى جديد، إذ أسّس سنظمة، وتبعاً لذلك عاد "بكداش" ظافرا بعد أن ظنّ أن اخوته رموه في "الجُب"، وأوكل "الشيخ الترابي" مهمّة الإشراف على "المبرّد" للواء الفاتح عروة، لكن سرعان ما اختلف "بكداش" معه بعد شهر عسل قصير، فابتعد الأول عنهم، لكنه كي "بصّاص" في الكون العريض، ترك عيناً معهم وادّخر أخرى لـــ"الرئيس" الذي

كان يشغل منصب مستشاره الأمني.. وكما قلنا من قبل، كان يتوجس خيفة من أن يختطف أحداً كرسي يريد البقاء فيه – ولو صوريا – كما كان واقع الحال!

بالرغم من كل ذلك، استمرَّ "بكداش" في مسيرته، وبذات الزخم الذي أشرنا له، تمدَّدت "المَبرّة" سريعاً كسابقتها، أي كما يتمدَّد قرير العين هانئها، فتعدَّدت أنشطتها وتجاوزت الحدود الجغرافيّة، ومنها أنها دفعت بنفر من كوادرها للمشاركة في الحرب التي هوت إليها أفئدة كثير من الجماعات الإسلامويَّة في كافة انحاء العالم، تلك هي الحرب الدائرة في البوسنة والهرسك، وصارت المبرة تتباهى بما قدَّمته من ثمانية من كوادرها الذين قُتلوا في سراييفو! لكن الطريف في الأمر، أنه مع كل خطوة كانت تخطوها "المَبرّة" كان الغُرماء من سَدنة الجهاز الرسمي كالنار يأكلون أنفسهم، ولهذا صاروا يُطلقون عليها من وراء ظهورهم "المَضَرّة" وكأنهُم لا يعلمون أنه الاسم الذي يُضاد اسم كبيرهم (نافع) الجالس على قمَّة الجهاز الرسمي!

بعد ذلك، ووفقاً لصفاته التي ورد ذكرها، انفتحت شهيَّة "بَكداش" وصحبه القائمين عَلى أمر "المَبرّة" لمزيدٍ من التمدُّد، فخططوا للوصول إلى بلدٍ أريقت فيه دماء المسلمين في بواكير عهد الرسالة المُحمَّدية وجرت أنهارا.. ربما لهذه الأسباب اختاروا المملكة العربيّة هدفاً استراتيجياً، كأقصر الطرق وصولاً لـ"الأمميّة الإسلاميّة" حيث خططوا لعمليَّة، وربما لعمليَّات لا يُعرفُ تفاصيلها، لكن اللواء "الفاتح عروَة" مستشارهُم الأمني، نصحهم بالعُزوف عن ذلك نسبة لأن الأمن السعودي عَلِمَ بالعمليّة (وإنني على يقينٍ بأنّ الخُبثاء سيقولون: ومن أخبر الأمن السعودي؟ وعليه، ستصبح الإجابة إن المعنى في جوف الشاعر، كما يقولون).. لكن "بكداش" المتحمِّس لاحتلال انكعبة المُشرّفة مثلما أراد المتطرّف السعودي "جهيمان العتيبي" من قبل، أصرَّ على مواصلة المسيرة بعناده المعروف، فبَعثَ بطاقمه الاستشهادي إلى المطار للذهاب إلى السعوديَّة، ليس لحَج يشهدون فيه منافع لهُم، ولا لعُمرة يمحون بها ذنوبهم، ولكن ليمحوا النظام الملكي من الوجود!

الذي حدث، أنهم عندما لم يسمعوا نُصحَ اللواء "الفاتح عِرْوَة" حَمَل نفسه بنفسه وذَهَبَ إلى مطار الخرطوم في اليوم المُحدَّد لسفر "المجتهدين" وصادر جوازاتهم ومنعهم من السفر.. في التقدير أن الذين حرمتهم العُصبة من السفر طوال السنوات الماضية، سيتنفسون الصعداء، وسيقولون: "المساواة في الظلم عدل".. الشاهد، أن تلك كانت المرَّة الأولى التي تُمنَعُ فيها بعض عضوية العُصبة الحاكمة من السَّفر، أسوة بعموم شعب السودان ممَّن مارست فيهم ذلك بمتعة وتلذذ.. من جهة ثانية، تزامن مع ذلك ضربة قاضية تلقتها "المِبَرّة" في السعوديَّة المستهدفة نفسها.. إذ تمَّ اكتشاف خليَّة في جهاز كمبيوتر رئيسها في مدينة جدَّة، يحوي معلومات مفصَّلة عن مناطق عسكريَّة في المملكة، فقامت السُلطات بحملة اعتقالات واسعة طالت معظم الكوادر المتفرِّقة في المُدُن السعوديَّة، وتولى الدكتور مصطفى عثمان التفاوُض مع السُلطات السعوديَّة، متدرعاً كعصبته بسلاحي النفي والإنكار، لكنه لم يستطع التبرُّؤ منهم بعد ما واجهه

الأمير نايف بن عبدالعزيز وقال له: «**أفهم أنهم لم يشتركوا في قضيَّة تفجير الخُبر، ولكن كيف أفهم وجود خرائط لمنشآت عسكريَّة في جهاز كمبيوتر رجُلٍ مدني؟**»، وذلك بحسب قول مصطفى عثمان نفسه لعصبته بعد عودته، ولعله كان صريحاً لأجل ألا يُقال عنه أنه جاء بخُفي حنين! لهذا لم يكن ثمة مناص أن يذهب المعتلقون إلى السجون السعوديَّة، حيث قضوا أكثر من ثلاث سنوات، دون أن يجرؤ أحد على المطالبة بإطلاق سراحهم، وبمثلما تبعثرت "قِمم" من قبل، تبعثرت "المَبَرَّة"، وقاد بَكداش أبنائه وبناته الأبرار نحو سُوح التصوُّف، ولا ندرى إن كان يبغي مجداً لم يطله، أو أنه أراد مسح ذنوبٍ ارتكبها عمد !

يبدو ان ذلك كان خاتمة المطاف لـــ"بَكداش"، لكنه لم يكُن خاتمة المطاف في تكوين جهاز أمني جديد، فتلك عُصبة هوايتها الأمن وصنائعه.. فبعد حلِّ "المَبَرَّة"، أو بالأحرى منعها رسمياً من مزاولة أي نشاط أمني، تأسس جهاز آخر وسُمِّي اختصاراً بـــ"مداخِل".. اختار الترابي ضمن فلسفته في تعدُّد الأجهزة الأمنيَّة ثلاثة أشخاص لتأسيس الجهاز الجديد، هُم: دكتور سيف الدين محمد أحمد، شرف الدين علي مختار، والسعيد عثمان محجوب. ولكن لصراع الظلام مائة وجه، وقناع واحد.. إذ ظلت الكواليس تشهد توتراً، مع فارق في تغيُّر الممثلين على خشبة المسرح.. اختصاراً لقصص لا تنتهي طفق "الشيخ الترابي" و"الرئيس المُشير" يشيدون بأنشطة "مداخل"، وفي المقابل ظلّ "الأستاذ" علي عثمان محمد طه يحارب "مدَاخل" بوسائله المعروفة من وراء حجاب.. فهو أكثر ما يخشى العلاقات المباشرة مع "الرئيس"، خاصة إذا كانت من قِبل شخص من "دفعته"، مثل "الفاتح عِرْوَة".. من جهة أخرى، اصطدمت رؤى الترابي بنزوع نافع علي نافع الميَّال للمركزيَّة المطلقة، بخاصة في الأجهزة الأمنيَّة، وطبقاً لذلك اندلعت حربٌ ضروس، تفنن في أساليبها دكتور مُطرَف صِدِّيق، الذي يهوى التآمُر بالفطرة!

إحدى وسائل تلك المعارك كانت في تركيز الهُجوم على "الفاتح عِرْوَة" في محاولة لاغتيال شخصيَّته، عُبئ لها كافة ضبَّاط جهاز "مَدَاخِل"، إذ زَعَمَ "عِروَة" مرَّة أنهم حاولوا اغتياله بإرسال عُملائهم المهندسين، وعبثوا بكوابح "فرامل" طائرة كان يُزمِعُ قيادتها! ثمَّ امتدَّ هجومه بالغ الضراوة أيضاً على السعيد عثمان محجوب، ثمَّ تطوَّرت الحرب إلى الصِّراع على "المَصَادِر"، وكانت حرباً مكشوفة، لا أخلاق فيها ولا قِيَم تراعيها، ذلك لأن ضبَّاط "الجهاز" وضبَّاط "مَدَاخِل" كانوا "رُفقاء سلاح"، أي أبناء "كار" واحد حتى مجيء انقلاب الإنقذ، وكذلك بعدها حتى انفصال الجهازين، أو بالأحرى قيام الجهاز الجديد، وتشاكسهما حول "المصادر" الحزبية والمخابرات المذادة التي تغذيهم بالمعلومات.. ثم تطوَّر الصِّراع إلى داخل السفارات بين "القناصل"، وعناصر الأمن الشعبي من الدبلوماسيين، وهكذا دواليك!

من جهة ثانية، نودُّ الاشارة إلى مسألة إستراتيجيَّة كانت لها إفرازاتها الكبيرة التي سيتذكرها القارئ بلا شك.. ففي إطار تمدُّد جهاز الأمن الشعبي "مَدَاخِل" وتفاقم

الصِّراع مع جهاز الأمن الرسمي برئاسة نافع علي نافع، قام الأخير مسنوداً بـــ"الأستاذ" على عثمان محمد طه بنشاطاتٍ هدفت إلى تقصير ظلّ الجهاز الأوَّل، ذلك باحتوائهم معظم الحركات الإسلامويَّة المتطرِّفة والمناهضة لحكوماتها، مثل حركة الجهاد المصرية، والجهاد الإريتري، والإثيوبي، والصومالي، وآخرين من بلدان المغرب العربي.. تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وليبيا، وكذا كوادر من بلدان عربيَّة وغيرهم.. في واقع الأمر، كان ذلك تجسيداً لما ظلَّ الأثنان يردِّدانه دائما، اي علي عثمان محمد طه ونافع علي نافع، في قولهم: «**إن التغيير الإستراتيجي في مصر والسعودية يُعدُّ بمثابة نجاحنا في السُّودان**».. وكان ذلك يعني في الأولى المحاولة التي جرت لاغتيال حُسني مبارك في أديس أبابا، وفي الثانية إمكانيَّة إحداث انقلاب على النظام الملكي من داخل العائلة!

بالرغم من أننا نقف إزاء قضية لم تنته فصولها بعد. إلا أنه من الواضح جداً بالنسبة للمراقبين، أن عمليَّة أديس أبابا اتَّخذها الدكتور حسن الترابي وسيلة لغايةٍ قصَدَ منها وضع الحبل حول أعناق حواريه السابقين، جزاءً على سرقتهم المشروع الذي نذر له حياته – بغضِّ النظر عن الاتفاق أو الاختلاف.. ومن الواضح أيضاً، بحسب ما ذكرنا من حيثيات، أن الترابي نأى بنفسه عن هذه القضيَّة، بل عن كل القضايا الجنائيَّة التي ارتكبتها العُصبة في حقبته، فهل فعل ذلك قصداً، أم أنه غُيِّب عمداً كما ذكر؟ وهل قصده كان نسبة لاستنكافه هذا الأسلوب في العمل السياسي، أم أنه نأى بنفسه لعلمه بعواقبها كرجل قانون؟ وهل تستَّر على الجُناة حينها لأنه يريد المحافظة على نظام كان عرّابه، أم أنه ادّخرها ليوم شره مستطيرا كما تراءى في الأفق للمتابعين؟ لكن من المؤكد أن الترابي، يعلم أن تستُّره يُدينه أيضاً إن مضت القضيَّة نحو نهاياتها بمنطق السياسة، ولكنه حتماً يعلم بأنه يمكن أن يقضي بضع سنوات جزاءً لما سيعترف به، بعد أن يُقدِّم رؤوساً كثيرة ستتدلى من المقصلة.. وبالنظر لما هو حادث من تشاحُن وتباغُض بين الطرفين، سيكون ذاك يوماً انتظره "شيخ" حسن طويلاً، وإن أرجأه "دكتور" حسن ليوم موعود!

ختم القول، في قصص الأولين والآخرين من سدنة الأجهزة الأمنيَّة، نعود إلى ما ذكرناه عرضاً في المشهد السابق، والذي أشرنا فيه أن "مداخل" أنيط بها التحقيق في عملية أديس أبابا الفاشلة، حيث تسلم الملف المهندس المغدور "علي البشير"، والذي اغتيل أمام اسرته، وذهب إلى ملاقاة ربه وهو يحمل أسرار العمليَّة في صدره.. ولا ندري إن كانت هي ذات الأسرار التي نثرناها هنا أم أنه حمل المزيد، وأياً كان فقد قُبرت معه، كذلك فإن "مَدَاخِل" لعبت دوراً كبيراً فيما سُمِّي بـــ"المُفاصلة الكبرى"، وتلك قصَّة تطول، وما اكثر القصص التي تطول في زمنٍ سيعلم الذين يجهلون أنهم كانوا ينامون مع الشيطان.. زمن كم فيه من سارقٍ أصبح شريفاً، وكم من فاجرٍ صار تقياً، وكم من قاتل أضحى بريئاً! فلا غُروَّ بعدئذ غير أن تكون "مَدَاخِل" ما زالت ناشطة في ساحة، وسدنتها ظمأى، كلما ألقمتهم مصيبة قالوا: هل من مزيد؟!